مجلة الآداب، م٢٥، ع٣، ص ص ٥٦٧- ٦٠٢، جامعة الملك سعود، الرياض (٢٠١٣م/١٤٣٤هـ)

الخصائص التركيبية والدلالية لـ «ما» المصدرية في القرآن الكريم

محمد بن محمود فجَّال

الأستاذ المشارك في اللغة والنحو، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب بجامعة الملك سعود

(قدم للنشر في ١٤/١١/١٤٣٣هـ وقبل للنشر في ١٨/٢/١٤٣٤هـ)

الكلمات المفتاحية: النحو العربي، ما المصدرية، الخصائص الدلالية، القرآن الكريم

ملخص البحث: وردت (ما) المصدرية في القرآن الكريم بتراكيب متعددة، أدَّت وظيفة الربط بين الجملة التي قبلها والتي بعدها، وما بعدها يكون جملة لا مفردًا، والجملة التي بعدها تكون صلة لها، ولا يعود ضمير من صلتها عليها، وتؤول مع الفعل الذي بعدها بمصدر، وقد وصفها بعض العلماء بأنها ترد في بعض التأويلات بمنزلة (أنْ)، إضافة إلى أنها تكون مع صلتها كالكلمة الواحدة، ويكون لهما محل من الإعراب، فاعل أو مفعول به أو مجرور، وتدل مع ما بعدها على دلالات متعددة بحسب السياق وقرائن الأحوال، ومن ذلك دلالتها في بعض التراكيب على الظرفية الزمانية، وإنْ فُصِلَ بين (ما) والجملة الفعلية بـ (كنتم) أو (كانوا) فالمصدر ينسبك من (ما) والفعل، لا منها ومن (كان)، ويسبقها أحيانًا حرف، كالكاف، ومن، وعلى، والباء ؛ للربط بين الجملة التي قبلها والتي بعدها، وقد تكون الجملتان بعدها، كما في الجملة الشرطية، وقد يراد من دخولها على الفعل الماضي إزالة الدلالة على الزمن.

مقدمة:

استُعْمِلَت (ما) في القرآن الكريم بتراكيب ودلالاتٍ متعددة، فترد نافيةً، نحو: ما المجتهدُ خائبًا، ومنه: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ﴾(الأنبياء ٢٥). وتردُ زائدةً أو صلةً [١]، نحو: إذا ما المجدُ نادانا أجبنا، ومنه: ﴿فَبِمَا رَحۡمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡ﴾ (آل عمران ١٥٩). وترد

(١) الزائد ما يكون له تأثير في الدلالة المعنوية للتركيب دون التأثير النحوي، وهو من عبارات البصريين. انظر (ابن يعيش: =

استفهامية، نحو: ما فعلَ زيدٌ؟، ومنه: ﴿قَالُواْ وَمَا ٱلرَّحۡمَٰنُ﴾ (الفرقان ٦٠). وترد تعجبية، نحو: ما أحسنَ زيدًا!، ومنه: ﴿فَمَآ أَصۡبَرَهُمۡ عَلَى ٱلنَّارِ﴾(البقرة ١٧٥). وترد مصدرية، نحو: أكرمتك بما اجتهدت، ومنه: ﴿كَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِيكُمۡ رَسُولٗا مِّنكُمۡ﴾(البقرة ١٥١).

وهذه الدراسة خاصة بالتراكيب التي تقع فيها (ما) حرفًا مصدريًّا.

ولتنوع التراكيب التي تقع فيها (ما) المصدرية وتعددها عزمتُ على إعداد هذه الدراسة التداولية التي تُعنَى بتأمل دلالة التركيب الواقعة فيه (ما) المصدرية، وأثرها في توجيه الإعراب والمعنى، وقد اخترت القرآن الكريم ليكون التطبيق فيه؛ لتعدد تراكيبه، وصوره، وسياقاته، وثراء المعاني فيه، ووجود صور جديرة بالمقارنة وباستنباط الدلالات.

وتهدف هذه الدراسة في القرآن ا لكريم إلى الآتي:

١- استقراء التراكيب الوارد فيها (ما) المصدرية، ووصفها، وتحديد أنواعها.

٢- استنباط الدلالات اللفظية وغير اللفظية لهذه التراكيب.

٣- تحديد خصائص (ما) المصدرية وتراكيبها.

وتجيب عن بعض التساؤلات، مثل:

١- ما الفرق بين المصدر المؤول والمصدر الصريح؟

٢- لماذا يُلجأ في القرآن الكريم إلى استعمال [ما+ الفعل] في بعض المواضع، وفي أخرى [ما+ فعل الكون+ فعل] بينما في مواضع أخرى يُستعمل (المصدر الصريح) من غير (ما)؟

٣- ما أنواع (ما) المصدرية؟

٤- كيف يستطيع القارئ تحديد دلالة (ما) في التركيب؟

٥- ما أشكال صلة (ما) المصدرية في القرآن الكريم، وما دلالاتها؟

إلى غير ذلك من التساؤلات التي حاولت إيضاح إجاباتها.

ولم أجد دراسة تطبيقيَّة عُنِيَتْ بدلالة التركيب والسياق تَنَاوَلَتْ هذا الموضوع، وكلُّ الدراسات التي اطلعتُ عليها تناولتْ تعداد أنواع (ما) الاسمية والحرفية، وأقسامها عند النحاة فحسب، بينما هذه الدراسة خاصة بنوع واحد هو «المصدرية»، وهي دراسة وصفية تحليلية تداولية.

وقد بدأتُ **بتمهيد**، ثم قسمت البحث قسمين، هما:

القسم الأول: الدراسة النظرية، وفيه:

المبحث الأول: تسمية (ما) المصدرية.

المبحث الثاني: نوعا (ما) المصدرية.

المبحث الثالث: الخلاف في حرفية (ما).

المبحث الرابع: وسائل تحديد نوع (ما) في القرآن الكريم حرفيَّةً أو اسمية.

المبحث الخامس: أنواع تركيب جملة (ما) المصدرية.

= ٨/ ١٢٨). واستعمل «سيبويه» مصطلح الحشو. انظر (سيبويه: ٢/ ١٠٥). واستعمل «الفراء» مصطلح الصلة مع القرآن الكريم تأدبًا. (الفراء ١٩٨٣: ١/ ٢٤٤). وانظر (القوزي ١٩٨١: ص ص ١٧٨ – ١٧٩).

المبحث السادس: كيفية صياغة المصدر الصريح مَنَ المؤول مِنْ (ما وصلتها).

المبحث السابع: الفرق الدلالي بين أنواع تراكيب جملة (ما) المصدرية.

المبحث الثامن: إعراب (ما) المصدرية.

القسم الثاني: الدراسة التطبيقية، وفيه:

المبحث الأول: صور صلة (ما) المصدرية في القرآن الكريم.

المبحث الثاني: أنماط تركيب (ما) المصدرية مع صلتها ودلالاتها في القرآن الكريم.

ولخَّصت نتائج البحث في **الخاتمة**.

ثم أعددت قائمة للمراجع.

تمهيد:

(ما) المصدرية حرف من حروف المعاني، ليس لها معنًى في ذاتها تدلُّ عليه [٢]، بل لا بُدَّ من وقوعها بين جملة قبلها وأخرى بعدها؛ لتربط بين الجملتين فتؤدي دلالة خاصة.

وهي مهملة لا تؤدي عملًا نحويًّا فيمًا يقع بعدها، ولا تُؤَثِّر في لفظه، إنما تؤثر في معناه، وليس التأثير من قبيلِ إضافةِ معنى جديدٍ معاكسٍ، أو مغايرٍ للجملةِ التي تخلو منها، إنما من قبيلِ إِضْفَاءِ دلالةٍ إضافية؛ لأنها تنقل اللفظ في التركيب من المصدرية إلى الفعلية، فتدلُّ دلالة إضافية مقصودة، فمثل قوله تعالى: ﴿ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ ﴾(التوبة: ١٢٨)، وجودُها جعل للجملة نظامًا خاصًّا على المستوى التركيبي، وعلى المستوى الدلالي، فبغير (ما) تكون الجملة [اسم+ اسم] أي: [عزيز عليه+ عنتكم]، وبوجود (ما) تصبح الجملة [اسم+ حرف+ فعل+ اسم] أي: [عزيز عليه+ ما+ عنتم]، وهذا التباين التركيبي اللفظي مُؤَدٍّ إلى تباين في الدلالة النحوية، وهو ما يقتضيه سياق الأحداث والموقف.

القسم الأول: الدراسة النظرية

المبحث الأول: تسمية (ما) المصدرية:

تستعمل (ما) لفظًا مشتركًا يقعُ تارةً اسمًا وتارةً حرفًا، وذلك بحسب عَوْد الضمير عليها وعدم عودِهِ عليها وقرينة الكلام، فهي مرتبطة بالجملة بعدها، ولذلك تسمى «موصولية»، ويندرج تحت هذه التسمية نوعان هما:

الأول: الاسمية، التي تكون بمعنى (الذي).

الثاني: المصدرية، التي تؤول مع ما بعدها بمصدر. وهي موضوع بحثي هذا.

وتُسَمِّى هذه الثانية حرفًا مصدريًّا ؛ لأنها تؤول مع ما بعدها بمصدر، وتسمَّى حرف سبك (الفارسي ٢٠٠٤: ٢/ ٥٠٠. الرضي ١٩٩٦: ٤/ ٤٤٠ – ٤٤١. ابن الشجري: ٢/ ٥٥٦ – ٥٥٩. المالقي ١٤٠٥: ص ص ٣٨٠ – ٣٨١. المرادي ١٩٩٣:

---

(٢) الكلام كله: اسم وفعل وحرف جاء لمعنى، والمعنى مستدل عليه من غيره. ولم يكن أحد جزأي الجملة المفيدة. فلو قلنا: (مِنْ) تبعيضيَّة، فهي تؤدي معنى التبعيض في غيرها، وليس فيها. انظر (المبرد ١٩٩٤: ١/ ١٤١. الزجاجي ١٩٨٤: ص ١. الأنباري: ص ١٢. البطليوسي: ص ٧٤. السيوطي ١٩٨٧: ٢/ ٢٦).

ص ص ٣٣٠ – ٣٣١ . الأندلسي ٢٠٠٠ : ٣/ ١٥١ – ١٥٢).

المبحث الثاني: نوعا (ما) المصدرية: لها نوعان:

١- مصدرية غير زمانية.

ومن أمثلتها عند النحاة الآتي:

- (ائتني بعد ما تفرغُ)، فـ (ما) و(تفرغُ) بمنزلة (الفراغ) (سيبويه: ٣/ ١١).
- و(يعجبني ما قُمْتَ، وأحبُّ ما صنعتَ) أي: يعجبني قيامُك، وصنعُكَ (الفارسي ٢٠٠٤: ٢/ ٥٠٠. المرادي ١٩٩٣: ص ٣٣١).
- وقول الشاعر (ابن يعيش: ٨/ ١٤٣. الأندلسي، أبو حيان ١٩٩٣، ص ٩٩٣):

يَسُرُّ المرءَ ما ذَهَبَ الليالي وكان ذَهابُهُنَّ له ذَهَابا

أي: يسرُّ ذهابُ الليالي المرءَ.

٢- مصدرية زمانية، وتُسمَّى وَقْتِيَّةً وظَرْفِيَّة (الفارسي: ص ٢٧٦. المرادي ١٩٩٣: ص ٣٣٠)، فتكون نائبة عن ظرف الزمان المضاف إلى المصدر المؤول منها ومن صلتها.

ومن أمثلتها عند النحاة الآتي:

- (أنا مقيمٌ ما أقمتَ، وجالسٌ ما جلستَ)، أي: وقت إقامتك، ووقت جلوسك.
- (رأيتُكَ مَقْدَمَ الحاجِّ وخُفوقَ النجم)، أي: وقت قُدوم الحاجّ، أو زمنَ مقدمِ الحاجِّ.
- (أتيتُك إِمْرَةَ فلان) أي: وقتَ إِمْرَةِ فلان (المبرد ١٩٩٣: ٣/ ١٩٧. الفارسي ١٩٩٠: ١/ ١٠. السيوطي ١٩٨٧: ١/ ١٠ - ١١).
- (سبحانَ ما سبَّحَ الرعدُ بحمدِهِ وسبحانَ ما سَخَّرَكُنَّ لنا)، أي: سبحانَ اللهِ مُدَّةَ تسبيحِ الرعدِ بحمدِهِ ومُدَّةَ تسخيرِكُنَّ لنا. فقد حُذِف المضاف إليه وهو لفظ الجلالة، وبقي (سبحان) (الفارسي: ص ٢٦٥).
- (لا أفعله ما ذَرَّ شَارِقٌ)، أي: مُدَّةَ ما ذَرَّ، أي: مُدَّة ذُرُورِ (الرضي ١٩٩٦: ٤/ ٤٤٠ - ٤٤١). فالظرف (مُدَّة) المحذوف والمضاف إلى المصدر (ذُرُور)، و(ما) نابت عن الظرف المحذوف.
- (لا أكلمك ما اختلف الليل والنهار)، فـ (ما) مع ما بعدها في تأويل الظرف، والمعنى: لا أكلمك اختلافَ الليلِ والنهارِ، أي: زمنَ اختلافِ الليلِ والنهارِ، فحذف (زمن) المضاف إلى المصدر، وأُقيم المضاف إليه مُقامه (الفارسي ١٩٩٠: ١/ ١٠. السيوطي ١٩٨٧: ١/ ١٠ - ١١).
- (لا أُكلِّمُك ما طلعتِ الشمسُ وما غابَ القمرُ وما قامَ الليلُ والنهارُ)، أي: وقتَ طلوعِ الشمسِ، ووقتَ غيابِ القمرِ، ووقتَ قيامِ الليلِ والنهارِ.

فالواقع بعد (ما) يكون معها كالكلمة الواحدة، فتؤول مع الفعل بتأويل المصدر، والمصدر في موضع الظرف (ابن أبي الربيع ١٩٨٦: ص ٢٨٧).

- ومن الشواهد الشعرية قول «امرئ القيس» (السكري ٢٠٠٠: ص٧٣٣) [٣]:

أجارتَنا إنَّ الخُطُوبَ تَنُوبُ   وإنِّي مُقِيم ما أقام عَسِيْبُ

- ومنه قول «أبي قيس بن رفاعة الأنصاري» (ابن جني ١٤٠٥: ٢/ ٦٨٣. المرادي: ١/ ٩٣. العيني ٢٠٠٠: الشاهد ٢٧. الأشموني: ١/ ٨٢):

مِنَّا الذي هو ما إنْ طَرَّ شارِبُهُ
والعانِسُون ومِنَّا المُرْدُ والشِّيبُ

فـ (ما) بمعنى حين، وزيدت بعدها (إنْ)؛ لشبهها في اللفظ بـ (ما) النافية، والمعنى: حين طَرَّ شاربه (التبريزي ١٩٨٣: ص٧١٣. ابن الشجري:٢/ ٥٥٥. ابن هشام ٢٠٠٦: ص ٣٣٤).

فبغير الحكم على (ما) بأنها مصدرية زمانية لا يمكن أنْ يصح معنى البيت ولا تقسيمه، وسيحصل تكرار، فالذين لم يطرَّ شاربُهم هم المرد، وعندما نحكم على (ما) بأنها مصدرية زمانية يكون المعنى أنَّ الذين يطرّ شاربهم أكبر من المرد، فيحصل اختلاف في التقسيم في البيت، وبذلك يصح معناه (العيني ٢٠٠٠: الشاهد ٢٧).

الفرق بين دلالة المصطلحين (زمانية) و(ظرفية) عند «ابن هشام»:

ذهب «ابن هشام» إلى تسمية (ما) المصدرية الدالة على الزمان بـ (الزمانية) ولم يسمّها (ظرفية) (ابن هشام ٢٠٠٦: ص٣٣٥)، وحجته في ذلك أمران:

الأول: أنها تدل على الزمان معنًى لا إعرابًا.

الثاني: أنها لو دلَّت على الزمان بذاتها لكانت اسمًا، وتنتفي حينئذ مصدريتها.

ولم يتعرض غير «ابن هشام» لدلالة هذا المصطلح، بسبب وضوح المراد منه، فإذا قيل: (ظرفية) فالمتبادر إلى الذهن أنَّ (ما) حرفية، وليست هي الظرف، بل هي مع صلتها نائبة عن الظرف.

وأُرجِّح الأخذ بمصطلح «ابن هشام»؛ لأنه أَدَلُّ على المراد من غيره، وآمنُ من حصول اللَبس.

حُكْمُ تقدُّمِ الفعلِ المضافِ إلى المصدرِ على (ما) المصدرية الزمانية أو الفصل بينهما:

لا يجوز تقدُّمُ الفعل على (ما) المصدرية الزمانية، ولا أن يُفْصل بينهما بفاصل؛ لأنَّ الواقع بعد (ما) يكون معها كالكلمة الواحدة، فتؤول معه بمصدر، ويكون هذا المصدر المؤول في موضع الظرف (المالقي ١٤٠٥: ص ٣٨١).

فنحو: (أنا جالس ما جلست) أضيفت (ما) إلى الجملة التي بعدها (جلست) المكونة من فعل وفاعل. فلا يجوز تقدم (جلست) على (ما)، ولا يجوز الفصل بين (ما) و(جلست) بأي فاصل.

اختصاص (ما) المصدرية الزمانية بهذه الدلالة:

اختلف النحاة في اختصاص (ما) المصدرية الزمانية بهذه الدلالة على مذهبين، هما:

الأول: مذهب «ابن جني» وتبعه «الزمخشري»، حيث جعلا (أنْ) تشاركها في هذه الدلالة (ابن هشام ٢٠٠٦: ص ٣٣٥. ابن مالك ١٤١٠: ١/ ٢٢٥. المرادي

---

(٣)مع تعدد الروايات.

١٩٩٣: ص٣٣٠. الدسوقي ٢٠٠٠: ٢/ ٢٢٤. الأنطاكي ١٤١٨: ١/ ٢٤٧).

وقد حَمَل عليه «ابن جني» قول «ساعدة بن جؤية» (الزين ١٩٩٥: ٢/ ٢١٤):

وتَاللهِ ما إنْ شَهْلَةٌ أُمُّ واحـدٍ
بِأَوْجَدَ مِنِّي أنْ يُهانَ صغيرُها

أمَّا «الزمخشري» فقد تبيَّن ما ذهب إليه من إجازَتِهِ في قوله تعالى: ﴿أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ﴾(البقرة ٢٥٨) كون التقدير: وقت أنْ آتاه الله (الزمخشري ١٩٩٨: ١/ ٤٨٩). وجَعْلِهِ التقدير في قوله تعالى: ﴿ إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُوا۟ ﴾(النساء ٩٢): إلا حين يتصدقون عليه (الزمخشري ١٩٩٨: ٢/ ١٢٧. ابن هشام ٢٠٠٦: ٣٣٥).

واستدلَّ بعضهم على وقوع (أنْ) وصلتها موقع ظرف الزمان بقول «تأبَّط شرًّا» (المضري ٢٠٠٣: ص ٣٤. المرزوقي ١٩٩١: ص ٤٩١. التبريزي ١٩٦٤: ٢/ ٢٦):

وقالوا لها: لا تَنْكِحيه، فإنَّهُ
لأَوَّلِ نَصْلٍ أنْ يُلاقِيَ مَجْمَعا

أي: لأولِ سهمٍ وقتَ ملاقاتِهِ مَجْمَعًا (ابن مالك ١٤١٠: ١/ ٢٢٥ – ٢٢٦. الأندلسي ٢٠٠٠: ٣/ ١٥٣).

الثاني: مذهب جمهور النحاة، حيث قالوا: (ما) المصدرية الزمانية تختص بدلالتها على الزمان دون بقية الأحرف المصدرية الأخرى وهي: (أنْ، وأنَّ، وكي، ولو) (الأندلسي ٢٠٠٠: ٣/ ١٥٨).

وأُرَجِّحُ هذا المذهب للأسباب الآتية:

١- لم يؤيد ما ذهب إليه «ابن جني» و«الزمخشري» أحدٌ من النحاة، وما أورده «ابن مالك» وتبعه «أبو حيان» بأنَّ بعضهم استدل على ذلك بقول «تأبط شرًّا» فإنه غير منسوبٍ لمعيَّن، وهذا مما يُضَعِّف الوجه.

٢- اعترض بعضهم على ما ذهب إليه «الزمخشري» بحجة أنَّ الشواهد التي أجاز فيها كون (أنْ) مصدرية زمانية هي واقعة موقع التعليل، والتعليل أَنْسَبُ للمعنى وأَوْضَحُ وقد أجمع عليه النحاة، إضافة إلى نفيهم وقوع (أنْ) زمانيةً (ابن مالك ١٤١٠: ١/ ٢٢٥ – ٢٢٦).

٣- لم يصرِّح الزمخشري برأيه، تصريحًا مُؤكدًّا، إنما أجاز التقدير في الآيتين على التعليل، وعلى المصدرية الزمانية.

المبحث الثالث: الخلاف في حرفية (ما): انقسم النحاة في تحديد نوعية (ما) إلى فريقين:

الأول: «سيبويه» وتبعه «المبرد» و«ابن خروف» والبصريون، ورجَّح رأيهم «ابن هشام» (ابن هشام ٢٠٠٦/ ص ٣٣٥. ابن هشام ١٩٨٥: ص ٣٨٤. ابن هشام ٢٠٠٤: ص ٦١). يَرَون أنَّ (ما) المصدرية حرفٌ، ولا يعود ضميرٌ من صلتها عليها (سيبويه: ٢/ ٣٢٦)[٤].

(٤) قال سيبويه: «حدثنا أبو الخطَّاب: ما زادَ إلا ما نَقَصَ، وما نَفَعَ إلا ما ضَرَّ. فما مع الفعل بمنزلة اسم، نحو النقصان والضرر» فيتبيَّن من ذلك أنه يعدّها حرفًا تؤول مع ما بعدها بمصدر. وانظر (المبرد ١٩٩٤: ٣/ ٢٠٠. ابن الشجري: ٢/ ٥٥٨. ابن هشام ٢٠٠٦: ص ٣٣٥).

فيقدِّرون في (أعجبني ما قمتَ): قيامُك (الأندلسي ٢٠٠٠: ٣/ ١٥٤).

وحجتهم في ذلك أنَّ الحروف لا يدخل عليها ما يدخل على الضمير؛ لأن عوامل الأسماء لا تدخل على الحروف، ولا تعمل فيها (ابن أبي الربيع ١٩٨٦: ص ٢٩٠).

الثاني: «الأخفش» وتبعه «ابن السرَّاج» (ابن السراج ١٩٩٥: ١/ ١٦١)، و«السهيلي» (السهيلي: ص ١٨٦)، وبعض الكوفيين (المالقي ١٤٠٥: ص٣٨١. ابن هشام ٢٠٠٦: ص ٣٣٥).

فإنهم جعلوا (ما) إذا كانت مصدريَّةً اسمًا بمنزلة (الذي)، ويعود عليها من صلتها ضميرُ المصدرِ، سواء أمتعديًا كان الفعل أم غيرَ متعدٍّ (الفراء ١٩٨٣: ص ٤٣، ١٠٨، ١٣١، ٣٣٤، ٣٦٨، وغيرها) [٥].

فيقدِّرون في (أعجبني ما قمتَ): القيامُ الذي قمته، ويحذف الضمير من الصلة (الأندلسي ٢٠٠٠: ٣/ ١٥٤).

وحجة «الأخفش» في اسميتها أمور:

١- أنه يدخل عليها عوامل الأسماء، فصارت كالأسماء، نحو الباء في قوله تعالى: ﴿بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾(البقرة ١٠)، والكاف في قوله تعالى: ﴿كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَٰذَا﴾(الأعراف ٥)، وحروف الجر من خصائص الأسماء.

٢- أنه يُقَدِّر الهاء في الصلة تقديرًا، وتكون كناية عن المصدر؛ لأن الفعل إذا ذُكِرَ فكأنَّ المصدرَ ذُكِرَ، فالتقدير في (كما نسوا): نَسُوهُ، فالهاء كناية عن النسيان، وهو يعود إلى (ما) المنبئ عن النسيان.

٣- أنَّ ضمير المصدر لم يخالف صريحه في تعدية الفعل إليه، فيُقال: (أعجبني قيام قمته) بتعدية (قمت) إلى ضمير (القيام) كما يقال: (قمت قيامًا). ويقال: (ضربته زيدًا)، كما يقال: (ضربت ضربًا زيدًا)، فضمير المصدر وصريحه غير مخالفين في هذا بل متفقان (الباقولي ١٩٩٠: ص ٧٦٥).

ونقل «ابن هشام» بأنَّ هذا الرأي فيه تخلص من دعوى اشتراك لا داعيَ إليه، فتارةً تكون موصولًا حرفيًّا، وتارةً تكون موصولًا اسميًّا (ابن هشام ٢٠٠٦: ٣٣٥).

وأُرَجِّحُ ما ذَهَبَ إليه «سيبويه» من أنَّ (ما) حرفيَّةً للأسباب الآتية:

١- يجوز دخول الحرف على الحرف إذا أُوِّل الثاني باسم أو بمصدر، و(ما) المصدرية تُؤوَّل مع ما بعدها بمصدر، فهي بمنزلة (أنْ) و(أنَّ)، حيث

---

(٥) فمثلاً في (٣٦٨) قال: «(عزيز عليه ما عنتم) جعل (ما) اسمًا، و(عنتم) من صلته» وهكذا قال في آيات أُخرى. وانظر (المبرد ١٩٩٤: ٣/ ٢٠٠. المالقي ١٤٠٥: ٣٨١. عضيمة ١٤٠٥: ص ص ١٩٣ - ١٩٤).

يجوز دخول الجار عليهما في مثل: (عجبت من أنْ قمت) أي: قيامُك [٦].

٢- إضمار العائد في الصلة دعوى فاسدة؛ فالكلام إذا كان مستقيمًا دون عائد، فلا داعي لتقديره، ولو جازَ ادعاءُ ذلك لجاز في (أنْ) و(أنَّ) ولم يحصل ذلك (الباقولي ١٩٩٠: ص ٧٦٤. المالقي ١٤٠٥: ص٣٨٠). ولو أننا أضمرنا العائد في الفعل المتعدي فلا نستطيع ذلك في الفعل اللازم (عبد الحميد ٢٠٠٤: ص ٦١).

إضافةً إلى أنه لا يمكن أنْ يُقَدَّر في مثل قوله (الإشبيلي ١٤٠٠: ٢/ ١٥٧، ٤٥٧. المرادي: ١/ ٢٠٤. العيني ٢٠٠٠: الشاهد ٩٨. السيوطي ٢/ ٧١٧):

أَلَيْسَ أَمِيري في الأُمُورِ بِأَنْتُمَا
بما لَسْتُما أَهْلَ الخِيانَةِ والغَدْرِ

فلا يسوغ تقدير (ما) هنا بـ (الذي) لعدم الرابط (الأندلسي ٢٠٠٠: ٣/ ١٥٤).

٣- رأي «الأخفش» فيه تناقض، فقد جعل تقدير (أعجبني ما صنعتَ): ما صنعتَه، مثل: (أعجبني الذي صنعته). ولم يُجِز ذلك في: (أعجبني ما قمتَ)؛ بحجة أنَّ (قام) فعل لازم (المبرد ١٩٩٤: ٣/ ٢٠٠. ابن الشجري: ٢/ ٥٥٨). فإذا كان مبدأ التفريق هو التعدي والللزوم، فلا خلاف في أنَّ (ما) إذا تلاها الفعل المتعدي تكون اسمية موصولية بمعنى (الذي).

٤- (ما) المصدرية الحرفية تستعمل للتعبير عن الأحداث، و(ما) الموصولية الاسمية التي بمعنى (الذي) تستعمل للتعبير عن الذوات، ومن الضروري التفريق بينهما (الأنطاكي ١٤١٨: ١/ ٢٥٠. الدسوقي ٢٠٠٠: ٢/ ٢٢٥. الشمني: ٢/ ٨٠).

٥- وعند استقرائي للمواضع التي أوضح فيها «الأخفش» في كتابه «معاني القرآن» نوع (ما) وتقدير الصلة وجدت الآتي:

- ﴿ لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوا ﴾(آل عمران ١٨٨) «يقول: بالإتيان، يجعل (ما) و(أتوا) اسمًا للمصدر، وإنْ شِئْتَ قُلْتَ: أتوا ها هنا: جاؤوا. كأنه يقول: بما جاؤوا، يريد: بما جاؤوه، كما تقول: يفرحون بما صنعوا، أي: بما صنعوه. ومثل هذا في القرآن كثير» (الأخفش ١٩٩٠: ص ٤٣).
- ﴿بِمَا عَصَوا ﴾(البقرة ٦١) «جعله اسمًا، هذا كالعصيان، يريد بعصيانهم، فجعل (ما) و(عصوا) اسمًا» (الأخفش ١٩٩٠: ص ١٠٨).
- «قوله: ﴿ بِمَا كَذَّبُوا ﴾ (الأعراف ١٠١) والله أعلم يقول: بتكذيبهم، جَعَلَ - والله أعلم - (ما كذبوا) اسمًا للفعل، والمعنى: لم يكونوا ليؤمنوا بالتكذيب» (الأخفش ١٩٩٠: ص ٣٣٤).

---

(٦) انظر قياس سيبويه في (سيبويه: ٣/ ١٥٦). «تقول: (ائتني بعدَما تقولُ ذاك)، كأنك قلت: (ائتني بعد قولك ذاك القول)، كما أنك إذا قلت: (بعدَ أنْ تقولَ) فإنما تريد ذاك» أي: تريد المصدر.

- «وقال: ﴿رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِي﴾(الحجر ٣٩)يقول: بإغوائك إياي» (الأخفش ١٩٩٠: ص ٤١٢).
- ﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ﴾(النحل ١١٦)«جَعَلَ ما تصف ألسنتُهُم اسمًا للفعل، كأنه قال: ولا تقولوا لِوَصْفِ ألسنتكم الكذب هذا حلال» (الأخفش ١٩٩٠: ص ٤١٩).

فقد صرَّح بلفظ (الاسمية)، لكنه لم يجعل التقدير بلفظ (الذي) إنما جعل (ما+ الفعل) مصدرًا، بل إنه يجعل (الذي) مصدريةً أحيانًا، قال: «﴿ٱلَّذِى يُبَشِّرُ﴾ (الشورى ٢٣) اسمًا للفعل، كأنه (التبشير)، كما قال: ﴿فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ﴾ (الحجر ٩٤)أي: اصدع بالأمر»(الأخفش ١٩٩٠: ص ٥١١).

والذي يتبيَّن لي من ذلك أنَّ «الأخفش» لم ينكر الأثر الدلالي المعنوي لـ (ما) المصدرية، وكونها تجعل الفعل اسمًا بعد سبكه مع (ما)، لكنه جعل (ما) اسمًا وأعطاها إعراب ما بعدها، وأبقى المعنى كما هو، وفي حقيقة الأمر أنَّ (ما) إذا جعلناها اسمًا ستنتقل الدلالة المعنوية مما بعدها إليها، وستؤدي هي المعنى، ويكون ما بعدها لا محلَّ له من الإعراب، ويُكَمِّل المعنى ويوضحه، لكن لا يؤدي المعنى منه ابتداءً.

وثمرة هذا الخلاف أننا لو جعلناها حرفًا فلا محل لها من الإعراب، ولو جعلناها اسمًا فلها محل من الإعراب، وهذه الدلالة النحوية يصحبها دلالة معنوية على الحالتين، فإن كانت حرفًا فإنها لا تدلّ بذاتها على معنى، وإنما تحتاج إلى جملة متصلة بها تؤدي معها المعنى، وإنْ كانت اسمًا دلَّت على المعنى بذاتها.

براءة «المبرِّد» من القول باسمية (ما) المصدرية:

وَرَدَ عند «الرضي وأبي حيان والسيوطي» (الرضي ١٩٩٦: ٣/ ٥٢. أبو حيان الأندلسي ٢٠٠٠: ٣/ ١٥٢. السيوطي ١٩٩٨: ١/ ٢٦٥). أنَّ اسمية (ما) المصدرية رأي أَخَذَ به «المبرِّد»، وهذا مخالف لما صرَّح به حيث قال في رأي «الأخفش»: «وقد خَلَّط، فأجازَ مثلَهُ، والقياس والصواب قول سيبويه» (المبرد ١٩٩٤: ٣/ ٢٠٠). فليُعْلم.

المبحث الرابع: وسائل تحديد نوع (ما) حرفيَّةً أو اسمية:

عندما ترد (ما) في نصٍّ ما فقد توصف بأنها حرفيةٌ مصدريةٌ، وقد توصف بأنها اسميةٌ موصوليةٌ بمعنى (الذي)، وقد يُختلف في نوعها على الوجهين مع ترجيح أحدهما أو من غير ترجيح، وهناك قرائن تَحَدِّدُ هذه الدلالة من خلال التركيب والروابط التي تربط بين مفرداته ونوعية الكلمات وزمن الأفعال.

فمثل: (أعجبني ما صَنَعْتَ، وسرَّني ما لَبِسْتَ)، يجوز أن تكون (ما) اسمًا موصولًا فيهما، والعائد محذوف، تقديره: ما صنعتَه وما لبستَه، كما يجوز أن تكون (ما) حرفًا موصولًا، ولا شيء محذوف، والتقدير: أعجبني صنعُك وسرَّني لبسُك، وهذا صحيح في المثالين السابقين وأشباههما عند فَقْدِ القرينة المُعَيِّنة، فإن وُجِدَتْ قرينةٌ لفظية في النص أو قرينة في السياق كأسباب النزول في الآيات القرآنية الكريمة وكالحال المُشَاهدة، وهذه القرينة تُوَجِّهُ إلى أحدهما دون الآخرِ وَجَبَ الأخذُ بتوجيهها، كأنْ يكونَ المصنوع والملبوس

أمرًا مُعَيَّنًا معروفًا، والحديث مُتَّجِهٌ إلى ذاته ومادته فتكون (ما) اسمًا موصولًا، أما إنْ كان المرادُ التحدثَ عن المعنى المجرد، أي: الحَدَث، وهو الصُّنْعُ نفسُه أو اللبسُ، فإن (ما) حرف موصول (حسن: ١/ ٤١١).

ومما يترجح فيه كون (ما) حرفية مصدرية قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ زِدْنَٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُوا۟ يُفْسِدُونَ﴾(النحل ٨٨) فالفعل (يفسدون) مُتَعَدٍّ ولم يستوفِ مفعوله، وإن جعلنا (ما) بمعنى (الذي) يكون المعنى: زدناهم عذابًا بسبب الذي كانوا يفسدونه. وهذا مخالف للصواب، فزيادة عذابهم بسبب تصرفاتهم لا تصرفات غيرهم، فَجَعْلُنا لـ (ما) مصدريةً بمعنى: زدناهم عذابًا «بكونهم مفسدين الناس بصدهم عن سبيل الله» (الزمخشري ١٩٩٨: ٣/ ٤٦٢) يتناسب مع دلالة السياق.

أما قوله تعالى: ﴿ٱنظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ ۚ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ﴾(الأنعام ٢٤)فقد اختُلف في دلالة (يفترون)، فعلى أنَّ المراد منها (الكذب) تكون (ما) مصدرية [٧]، وعلى أن المراد منها (اتخاذ الشركاء) تكون (ما) اسمية موصولية[٨]. وقد أشار «أبو حيان» إلى جواز الوجهين (الأندلسي، أبو حيان ١٩٩٣: ٤/ ١٠١)، بناءً على جواز المعنيين.

وبتأملنا سياقَ الآياتِ الكريمة ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ ۗ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢١﴾ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَيْنَ شُرَكَآؤُكُمُ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴿٢٣﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ ۚ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾﴾(الأنعام ٢١- ٢٤) نرى أنَّ الألفاظَ الواردةَ تدلُّ على أمورٍ قوليَّة، تأمل ذلك: (افترى على الله كذبًا. أو كذَّب. لم تكن فتنتهم إلا أن قالوا. كَذَبوا على أنفسهم)، فقد افتروا الكذب في حياتهم الدنيا، ثم أُخبر عنهم أنهم سيعتذرون في الآخرة عندما يَرَوْنَ العذاب عن هذا الافتراء بالكذب أيضًا وبنفي ما كانوا يدَّعُونه، وسيضِلُّ عنهم ما كانوا يدَّعونه كذبًا في الدنيا «من أنَّ الأصنام شركاءُ لله وشفعاؤهم في الآخرة» (ابن الجوزي ١٩٨٤: ٣/ ١٨)، فسياق الكلام كله مُوَجَّهٌ إلى قولهم وكذبهم، أما الأصنام التي أشركوها في العبادة فلا وجود لها آنذاك، ولا اعتبار لها ولن تُخاطب، ولم توصف بأنها (ضلَّت) أو نَفَتْ أو أَنْكَرَتْ، ولم يَرِدْ ذِكْرُها إلا بالاستفهام التوبيخي (أين شركاؤكم)، وبما أنها غير موجودة آنذاك فلن يُعاد الكلامُ عنها ولن تُوصفَ بأنها تَنَصَّلَتْ منهم.

ففي هذا السياق دلالات لفظية وأخرى معنوية كما رأينا تدعونا إلى إيقاع فاعل (ضلَّ) على (الافتراء) المؤوَّل من (ما+ الفعل) لا على (ما) وحدَها، وبذلك يمكن لنا ترجيح مصدرية (ما)، والله أعلم.

وهناك حالة يتعيَّنُ فيها أن تكون (ما) حرفًا مصدريًّا، وهي أن يكون الفعل بعدَها لازمًا، أو أن يكونَ متعديًا قد استوفى مفعولَه، نحو قوله تعالى:

---

(٧) قال «ابن عطية»: «ذهب افتراؤهمفي الدنيا وكذبهم بادعائهملله تبارك وتعالى الشركاء». (الأندلسي، ابن عطية ١٩٩٣: ص ٢/ ٢٧٩).

(٨) قال «الزمخشري»: «أي: يفترون إلهيته وشفاعته». (الزمخشري ١٩٩٨: ٢/ ٣٣٣). بمعنى: ضَلَّ عنهم الذي يَدَّعون أُلوهيته وأنه سيشفع لهم.

﴿وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ﴾ (التوبة ٢٥) (حسن: ١/ ٤١١)، فـ (رحبت) فعل لازم، ولا يمكن إعادة ضمير على (ما). ونحو قوله تعالى: ﴿مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ﴾ (البقرة ١٠٩)، فـ (تبيَّن) فعل لازم، ويؤول مع (ما) بمصدر، تقديره: «من بعد تبيِّن الحقِّ» (الحلبي ١٤٠٨: ٢/ ٦٨)، ولا يمكن تقدير الاسمية هنا.

ومثل ذلك قول الشاعر (ابن يعيش: ٨/ ١٤٢ - ١٤٣):

يَسُرُّ المرءَ ما ذَهَبَ الليالي وكان ذَهابُهُنَّ له ذَهَابـا

فـ (ما) المصدرية وما بعدها في تأويل مصدر فاعل مرفوع بـ (يَسُرُّ)، والتقدير: يسرُّ ذهابُ الليالي المرءَ، ولا عائد في اللفظ ولا مُقَدَّر (ابن يعيش: ٨/ ١٤٣)؛ لأن الفعل لازم، فلو كانت اسمًا موصولًا لم نجد في العبارة عائدًا إليها، ولا يصح تقدير ضمير، ومثلُه: (أعجبني ما قمت) إذ لم يُسْمع أعجبني ما قمتَه ؛ للسبب السابق أيضًا، ومثل: (سرني ما قرأتَ الصحفَ)، و(ما كتبتَ الرسائلَ)، فالفعل فيهما مُتَعَدٍّ قد استوفى مفعوله، ولا يصح فيه تقديرُ ضميرٍ مفعولٍ آخر (حسن: ١/ ٤١١-٤١٢)، وهذا نحو قوله تعالى: ﴿وَلَكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلْأَيْمَٰنَ﴾(المائدة ٨٩) أي: «تعقيدها» (الزمخشري ١٩٩٨: ٢/ ٢٨٦)؛ فقد أخذ الفعل المتعدي وهو (عقدتم) مفعولَه (الأيمانَ)، وليس بالإمكان تقدير عائد، فتحتَّم كونها مصدرية.

وبذلك يتبيَّن لنا أن نَوْعِيَّةَ الفعلِ من التعدي واللزوم، وسياقَ النَّصِّ بما يتضمنه من دلالاتٍ لفظيَّةٍ أو دلالاتٍ عميقةٍ هي أدواتٌ تمكننا من تحديد نوعية (ما) حرفيَّةً أو اسميَّةً.

إضافةً إلى أنَّ النحويين تنبهوا إلى أهمية تحديد الدلالة المعنوية للتركيب اللفظي للتوصل إلى نوع (ما) هل هي حرفية أو اسمية، من خلال قراءة قوله تعالى: ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُواْ يُكَذِّبون﴾(البقرة ١٠) بضم الياء وتشديد الذال من (يُكَذِّبون) [(٩)]، فقالوا: لا يخلو الضميرُ المحذوف من قوله (يُكذِّبون) أن يعودَ على القرآن، أو على النبيّ، أو على المصدر الذي هو التكذيب، فإنْ أَعَدْناه إلى القرآن أو النبيِّ، فقد استحقُّوا بذلك العذاب، وإنْ أَعَدْناه إلى التكذيب لم يستحقوا العذابَ ؛ لأنهم إذا كذَّبوا التكذيبَ بالقرآنِ وبالنبيِّ كانوا بذلك مؤمنين، فكيف يكونُ لهم عذابٌ أليمٌ بتكذيب التكذيب؟ (ابن الشجري: ٢/ ٥٥٩).

فمن قال: إنَّ (ما) اسم موصول بمعنى (الذي) والضمير في (يُكَذِّبون) يعود عليها، فقد جعل المعنى أنهم يُكَذِّبون التكذيب بالقرآن والنبي، وهم بذلك على قوله مسلمون، وهذا إحالة للمعنى عن الصواب.

المبحث الخامس: أنواع تراكيب جملة (ما) المصدرية:

ترد تراكيب جملة (ما) المصدرية بِعِدَّة صور على النحو الآتي:

(٩) هذه قراءة: نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر وأبي جعفر ويعقوب. انظر (القيسي ١٩٨١: ص ٢٢٧. الباقولي ١٩٩٤: ص ص ٢١ - ٢٢).

١- تراكيب جملة (ما) المصدرية غير الزمانية:

أ- جملة فعلية + ما+ جملة فعلية فعلها ماض.

ب- جملة فعلية + ما+ جملة فعلية فعلها مضارع مثبت.

ت- جملة فعلية + ما+ جملة فعلية فعلها مضارع منفي.

ث- جملة فعلية + ما+ كنتم أو كانوا+ فعل مضارع.

ج- جملة فعلية + ما+ جملة اسمية.

ح- جملة اسمية+ ما+ جملة فعلية فعلها ماض.

فنلحظ أنَّ (ما) المصدرية تستعمل في تركيبٍ يسبقها فيه جملةٌ فعليةٌ ويليها جملةٌ فعليةٌ، أو يسبقها جملةٌ فعليةٌ ويليها جملة اسميةٌ، أو العكس.

والجملة الفعلية التي تلي (ما) يكون على الأكثر فعلها ماضيًا (ابن مالك ١٤١٠: ١/ ٢٢٥. الأندلسي ٢٠٠٠: ٣/ ١٥١. الأندلسي ١٩٩٨: ص ٩٩٣)، بحسب تقريرات النحاة من خلال استقرائهم لكلام العرب، نحو قول الشاعر [١٠]:

يَسُرُّ المرءَ ما ذَهَبَ الليالي وكان ذَهابُهُنَّ له ذَهَابا

ويكون مضارعًا (ابن مالك ١٤١٠: ١/ ٢٢٧)، والمضارع يكون مثبتًا، ويكون منفيًّا، وقد يُسْبَقُ بفعل الكون، ويُسَمُّونَهُ فعلًا مساعدًا. نحو: اكتب بعدما تقرأ، ولا تمدح نفسك بما لم تفعل، وهذا جزاؤك بما كنت تهمل.

والفعل الذي يليها يكون متصرفًا (الرضي ١٩٩٦: ٤/ ٤٤٠. الأندلسي ١٩٩٨: ص ٩٩٣). لا جامدًا؛ إذ الذي لا يتصرَّف لا مصدر له، حتى يؤوَّل الفعل مع الحرف به، وشذَّ وصلُها بغير المتصرف في قوله [١١]:

أَلَيْسَ أَمِيري في الأُمُورِ بِأَنْتُمَا

بما لستما أهلَ الخيانةِ والغَدْرِ

(الحلبي ١٤٠٨: ١/ ١٤٢).

ويكون متعديًا، أو لازمًا، ويكون مبنيًا للمعلوم كما سبق، ومبنيًّا للمجهول، نحو: (أُمِرْتَ بعمل الخير كما أُمِرَ غيرُك).

ويكون الفعلُ الذي يلي (ما) **المصدرية** بمعنى «اسم المفعول»، نحو: (محمدٌ مُخْتَارٌ ما يَقْتَرِحُون).

وقد حصل خلاف بين النحاة في ذلك فنجد أنَّ «العكبري» و«أبا حيان» يجيزان في مواضع قليلة كونها مصدرية بشرط أن تكون بمعنى اسم المفعول (عضيمة: ق ١ ج ٣/ ٢٦ – ٢٧. العكبري: ١/ ٧٨. الأندلسي، أبو حيان ١٩٩٣: ١/ ٤٢٤).

نحو قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ مُخۡرِجٞ مَّا كُنتُمۡ تَكۡتُمُونَ﴾ (البقرة ٧٢) قال «العكبري»: «(ما) في موضع نصب بمخرج، وهي بمعنى الذي، والعائد محذوف. ويجوز أن تكون مصدرية، ويكون المصدر بمعنى المفعول، أي: يخرج كَتْمَكم، أي: مكتومَكم» (العكبري: ١/ ٧٨). بينما قال «أبو حيان»: «(ما) منصوب باسم الفاعل وهو موصول» (الأندلسي، أبو حيان ١٩٩٣:١/ ٤٢٤)، ولم يتعرض لجواز كونها مصدرية.

(١٠) سبق تخريجه.

(١١) سبق تخريجه.

وفي قوله: ﴿وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ﴾(إبراهيم ٣٤) أجاز «العكبري» كونها بمعنى الذي، ونكرة موصوفة، ومصدرية ويكون المصدر بمعنى المفعول (العكبري: ١/ ٧٧٠).

أمَّا «أبو حيان» فقد جعل (ما) موصولة، وأجاز كونها نافية، وأجاز كونها مصدرية، والمصدر بمعنى المفعول (أبو حيان الأندلسي ١٩٩٣: ٥/ ٤١٦). فنلحظ أنهم أجازوا وقوع (ما) مصدرية بشرط كونها بمعنى المفعول.

وقد حصل خلاف بين النحاة في نوع الفعل المضارع بعدها على قولين:

الأول: الفعل المضارع بعد (ما) المصدرية يجب أن يكون مبهمًا، أي أنَّه تختلف أنواعه، نحو: (يعجبني ما صَنَعْتَ، وما عَمِلْتَ، وما فَعَلْتَ، وما حَكَمْتَ) ؛ لأنَّ الحكم مختلف أنواعه، وكذلك الصُّنْعُ والفِعْلُ والعَمَلُ ؛ لأنَّ هذه مبهمة تقع على كل شيء وتحتمل التنويع. وذهب إلى ذلك «السهيلي» (السهيلي: ١٨٦).

واستكره كونه خاصًّا، نحو: (أريدُ ما تخرجُ) ؛ لأنَّ الخروج خاص (الأندلسي ١٩٩٨: ٩٩٤)، ونحو: (يعجبني ما جَلَسْتَ، وما انطلق زَيْدٌ) ؛ فالجلوس نوع خاص وليس مبهمًا، والتقدير يكون حينئذ: أعجبني الجلوس الذي جلست والقعود التي قعدت.

وحجته في ذلك أنَّ آخر الكلام يكون مفسرًا لأوله رافعًا للإبهام، فلا معنى حينئذ لها (السهيلي: ص١٨٦. الجوزية: ١/ ٢٥٢. الأندلسي ٢٠٠٠: ٣/ ١٥١ — ١٥٢).

الثاني: جواز وقوع الفعل الخاص بعد (ما) المصدرية، نحو قوله تعالى: ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾ (التوبة ١٢٨)، وقوله سبحانه: ﴿وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ﴾ (آل عمران ١١٨) (ابن هشام ٢٠٠٦/ص ص ٣٣٣ - ٣٣٤)، و(المرادي ١٩٩٣: ص ٣٣١. البنا ١٩٨٥: ٣٧١).

وقد ذهب إلى ذلك «ابن هشام» ، واعترض على مذهب «السهيلي» .

وأرى أنَّ الأخذ بمذهب «ابن هشام» أولى ؛ لأنَّ فيه توسعًا أكثر، وعدم تضييق للمعاني، لا سيما وجود آيات كريمة جاءت بخلاف ما وصفه «السهيلي» .

«ولا تُوصل بالأمر ؛ لأنه ينبغي أنْ يفيدَ المصدرُ المؤوَّلُ به (ما) مع الفعل ما أفاده (ما) مع ذلك الفعل، وإلا فليسا مؤولين به، ألا ترى أنَّ معنى ﴿بِمَا رَحُبَتْ﴾ (التوبة ٢٥) وبرُحْبِهَا شيءٌ واحدٌ، وكذا معنى (علمتُ أنَّك قائمٌ) و(علمتُ قيامَك) شيءٌ واحدٌ، والمصدر المؤوَّل به (أنْ) مع الأمر لا يفيد معنى الأمر، فقولك: (كتبتُ إليه أنْ قم) ليس بمعنى (القيام) ؛ لأنَّ قولَك (بالقيام) ليس فيه معنى طلب القيام، بخلاف قولك: أن قم» (الرضي ١٩٩٦: ٤/ ٤٤٠).

فقد مَنَعَ «الرضي» أن يليها فعل الأمر ؛ لعدم إمكانيته تحقيق المعنى، ومَنَعَ الفعلَ غيرَ المتصرفِ ؛ لأنه لا يؤول بمصدر.

ويريد من قوله: «ألا ترى أنَّ معنى ﴿بِمَا رَحُبَتْ﴾ (التوبة ٢٥) وبرحبها شيء واحد» (الرضي ١٩٩٦: ٤/ ٤٤٠) تشابُهُ الدلالة العامة، أما الدلالةُ الخاصة، فإنَّ كُلَّ

لَفْظَةٍ تحملُ معنًى ليس في الأخرى، واستعمال (ما) المصدرية مع الفعل أفادَ ما لم يُفِدْهُ استعمالُ المصدر.

وتكون صلة (ما) جارًّا ومجرورًا، نحو: (ما خلا زيدٍ وما عدا زيدٍ) بالجر، و(ما) مصدرية، وهذا على مذهب «ابن جني» (الرضي ١٩٩٦: ٤/ ٤٤١)[١٢].

ومن التراكيب كذلك أن يسبقها جملة اسمية ويليها جملة فعلية، نحو: مكافأتك كبيرة بما اجتهدتَ.

٢- تراكيب جملة (ما) المصدرية الزمانية:

أ- جملة فعلية + ما الزمانية+ جملة فعلية فعلها ماض مثبت.

ب- جملة فعلية + ما الزمانية+ جملة فعلية فعلها مضارع منفي.

ت- جملة فعلية + ما الزمانية+ جملة فعلية فعلها مضارع مثبت.

ث- جملة فعلية + ما الزمانية+ جملة اسمية.

فصلتها في الغالب فعلٌ ماضيَ اللفظ مثبت (الأندلسي ١٩٩٨: ٩٩٤. الرضي ١٩٩٦: ٤/ ٤٤٠ – ٤٤١. ابن مالك ١٤١٠: ١/ ٢٢٦ – ٢٢٧)، نحو: (لا أصحبَك ما ذرَّ شارقٌ).

أو مضارع منفي بلم، نحو: (تُهدِّدُني ما لم تلقني)، ومعناها الاستقبال، ومنه قول «امرئ القيس» (السكري ٢٠٠٠: ص ٦٤٩):

مَا لَم أَجِدْكَ على هُدَى أَثَرٍ   يَقْرُ مُقَصَّكَ قَائفٌ قَبْلِـي

وكقول الشاعر (ابن مالك ١٤١٠: ١/ ٢٢٦):

ولن يلبث الجُهَّال أنْ يَتَهَضَّموا
أخا الحِلم ما لم يَسْتَعِن بجهول

وإذا كان الفعل الماضي هو (دام) الناسخ وجب أن تكون (ما) وصلتها معمولة لفعل مضارع قبلها (حسن: ١/ ٤١٢)، نحو: (أجلس معك ما دام الجو مناسبًا).

ويقل كونها فعلًا مضارعًا مثبتًا (الرضي ١٩٩٦:٤/ ٤٤١)، نحو: (عجبتُ مما تضرب زيدًا).

وكقول الشاعر (الشنتمري ١٤٢٣: ٢/ ٣٤٦)[١٣]:

نُطَوِّف ما نُطَوِّف ثم يأوي   ذوو الأموال منا والعديمُ
إلى حُفَرٍ أَسَافِلُهن جُـوفٌ   وأعلاهنَّ صُفَّاحٌ مُقيـمُ

وقد توصل بجملة اسمية كقول الشاعر:

وَاصِلْ خليلَك ما التواصلُ ممكنٌ
فَلَأَنتَ أو هو عن قريبٍ ذاهـبُ

وقال آخر:

فعسْهُم أبا حسَّانَ ما أنتَ عائِسُ (ابن مالك ١٤١٠: ١/ ٢٢٦ – ٢٢٧).

وقوع صلة (ما) المصدرية جملةً اسمية:

اختلف النحاة في وقوع الجملة الاسمية صلةً لـ (ما) المصدرية، فذهبوا مذهبين:

الأول: مذهب «سيبويه» و«المبرد»، وهو أنَّ صلة (ما) المصدرية لا تكون إلا فعليَّة؛ لأن (ما) اسم[١٤] فلا توصل إلا بالفعل، نحو: بلغني ما صنعت، أي:

---

(١٢) على حدِّ بحثي لم أجد فيما بين يدي من كتب ابن جني ذلك.

(١٣) قائلهما «بُرْج بن مُسْهِر الطائي».

(١٤) لعل مراده أنها ستصبح مع صلتها اسمًا.

صنيعُك، إذا أردتَ بها المصدرَ فصِلَتُها الفعلُ لا غير (المبرد ١٩٩٤/ ٤/ ٤٢٧).

الثاني: بقية النحاة، فقد أجازوا أنْ تكونَ صلة (ما) المصدرية جملة اسميةً (ابن يعيش: ٨/ ١٤٣. الرضي ١٩٩٦: ٤/ ٤٤١)، وتبعهم «ابن مالك».

وهو الراجح، وإن كان قليلًا (ابن أبي الربيع ١٩٨٦: ص ٢٨٩)، نحو:

- يعجبني ما أنت صانع، أي: صنيعك.
- سأزورك ما المطر متوقف، أي: مدة توقف المطر.
- ونحو: «بَقوا في الدنيا، ما الدنيا باقية» (المدائني ١٩٩٨: ٤/ ٢٢).
- وقول الشاعر (سيبويه: ١/ ١١٦، ٢/ ١٣٩. والبغدادي ١٩٩٧: ١٠: ٢٣٠، ٢٥١، ١١/ ٢٣٢، ٢٣٤) [15]:

أعلاقةً أُمَّ الوُلَيِّـد بَعْـدَ مـا
أَفْنَانُ رأسِكَ كالثَّغام المُخْلِس [16]

- ومنه قول الشاعر (الأسدي ٢٠٠٠: ص ١٩):

أحلامُكم لسقام الجهل شافيةٌ
كما دماؤكُمُ تشفي من الكَلَب

- وقول الشاعر:

وَاصِلْ خليلَك ما التواصلُ ممكنٌ
فلَأَنتَ أو هو عن قريبٍ ذاهـبُ

- وقال آخر:

رَأَيْتُ رِجالاً يَأْلَهُونَ هَوانَهُـــمْ
فعُسْهُم أبا حسَّانَ ما أنتَ عائِسُ

(ابن مالك ١٤١٠: ١/ ٢٢٦ – ٢٢٧).

ففي (واصل خليلك ما التواصل ممكن) صلتها جملة اسمية.

وقد رجَّح «ابن مالك» ما ذهب إليه على من قال بخلاف ذلك؛ لوجود البيتين (واصل خليلك) و(فعسهم أبا حسان) (ابن مالك ١٤١٠: ١/ ٢٢٨).

وجواز ذلك يشمل (ما) المصدرية بنوعيها غير الزمانية والزمانية.

المبحث السادس: كيفية صياغة المصدر الصريح من المؤول من (ما وصلتها):

١ - في الأفعال:

يصاغ المصدر من (ما+ الفعل) بإضافة لفظ الماضي إلى الفاعل.

فنحو (ما قمتَ): قيامك، ونحو (ما صنعتَ): صنعك.

ونحو (ما تقوم): قيامك، ونحو (ما تصنع): صنعُك.

٢ - في الأسماء:

يصاغ المصدر من (ما+ الفعل) في الجملة الاسمية على النحو الآتي:

---

(١٥) البيت للمرار الأسديّ. بفتح عين (أعلاقة) عند البغدادي.

(١٦) الحكم على (ما) هذه بالمصدرية أَوْلَى من جعلها كافة؛ لأنها إذا كانت مصدرية كانت هي وصلتها في موضع جَرٍّ بالكاف في البيت الأول، وبإضافة الظرف في البيت الثاني، ولم يصرف شيء عما هو له ثابت، بخلاف الحكم بأنَّ (ما) كافة. وأيضًا فإنَّ النظر يقتضي أنْ تكون (ما) مصدرية لكثرة استعمالها، وعملها غير مقصورة على الوصل بالفعل. (ابن مالك ١٤١٠: ١/ ٢٢٧ – ٢٢٨).

أ - في (ما) المصدرية غير الزمانية:

(١) إذا كان الخبر مشتقًا، مثل: (سرَّني ما الطالب متفوقٌ)، نصوغ المصدر الصريح من الخبر (متفوق) ونضيفه إلى المبتدأ (الطالب)، فيكون: سَرَّني تفوق الطالب.

(٢) إذا كان الخبر جامدًا، مثل: (سرَّني ما الشجاع أسدٌ)، نصوغ المصدر الصريح بالمجيء بلفظ يدل على كونٍ عامٍّ يُضاف إلى المبتدأ، فيكون: سرني كون الشجاع أسدًا.

ب - في (ما) المصدرية الزمانية:

(١) إذا كان الخبر مشتقًا، مثل: (سأزورك ما المطر متوقفٌ)، نصوغ المصدر الصريح بالمجيء بلفظ يدل على الزمن نحو (مدة، ووقت، وزمن)، ثم نحوِّل الخبر إلى مصدر ونضيفه إلى المبتدأ، فيكون: سأزورُك مُدَّةَ توقفِ المطرِ.

(٢) إذا كان الخبر جامدًا، مثل: (سأزورك ما أنت أسدٌ)، نصوغ المصدر الصريح بالمجيء بلفظ يدل على الزمن نحو (مدة، ووقت، وزمن)، ثم لفظ يدل على كونٍ عامٍّ، ونضيفه إلى المبتدأ، فيكون: سأزورُك مدَّةَ كونك أسدًا.

المبحث السابع: الفرق الدلالي بين أنواع تراكيب جملة (ما) المصدرية:

لاستعمال الفعل بأحد أنواعه مع (ما) المصدرية، أو استعمال المصدر الصريح من غير وجود (ما) المصدرية في التركيب دلالاتٌ مقصودةٌ؛ لأن للفعل ذاتِهِ دلالاتٍ لفظيَّةً وبنائيَّةً، إضافةً إلى دلالته العميقة مع التركيب [١٧]، فالفعل (ضرب) يدل بِلَفْظِهِ على الحَدَث، وببنائه على الزمن، وبمعناه على فاعله، ومع التركيب بأكلمه على الدلالة المرادة من استعماله، فقد يكون التركيب أحد الآتي: (ضَرَبَ اللِصَّ. أو ضَرَبَ مَثَلًا. أو ضَرَبَ مَوْعِدًا. أو ضَرَبَ زِلْزَالٌ المنطقةَ. أو ضَرَبَ أخماسًا لأسداس. أو ضَرَبَ بكلامه عرض الحائط)، ففي كل تركيب يؤدي الفعل (ضرب) دلالة خاصة.

دلالة الفعل الماضي:

الفعل الماضي مِنْ أثْرَى الأفعال دلاليًّا، فهو ثلاثة أنواع، هي: نص، وممثل، وراهن. فالنص ما وافق لفظه لفظَ الماضي ومعناه معناه. مثل قوله تعالى: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَّمْلُوكًا﴾ (النحل ٧٥). والممثل: ما كان لفظه لفظ الماضي ومعناه لمستقبل الزمان ومستأنفه. مثل قول الله - عزَّ وجلّ - : ﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ (النحل ١) أي: يأتي، يعني القيامة. أي: هي قريب فلا تستعجلوه. ومثل قوله: ﴿وَٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَٰهُ﴾ (فاطر ٩) أي: فنسوقه. ومثل قوله: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ﴾ (المائدة ١١٦)أي: وإذ يقول الله؛ لأنَّ هذا يكون يومَ القيامة. ومثل قوله: ﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ﴾ (الأعراف ٥٠) أي: وينادي؛ لأن المعنى مفهوم أنَّ الذي يقع في عِلْمِ الله كونه لا بُدَّ من وقوعه. ولا يجوز لقائل أن يقول: قام عبدُ الله، وهو يريد: يقوم عبد الله؛ لأن المعنى حينئذ لا يفهمه، ولا يدل (قَامَ) إلا على المُضِيِّ (المؤدب ٢٠٠٤: ص ٣٦).

---

(١٧) انظر باب الدلالة اللفظية والصناعية والمعنوية في (ابن جني: ٣/ ٩٨).

والراهن: المقيم على حالة واحدة. مثل قول الله جلَّ وعزَّ: ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا﴾(الأحزاب ٢٧) ألا ترى أنه كان قديرًا، واليومَ أيضًا هو قدير، وبعدَ اليومِ قديرٌ (المؤدب ٢٠٠٤: ص ٣٧).

والماضي يكون بمعنى المستقبل في باب الجزاء. والدليل عليه قول الله: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي إِن شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِّن ذَٰلِكَ﴾ (الفرقان ١٠) معناه - والله أعلم - إن يشأ يجعل لك (المؤدب ٢٠٠٤: ص ٣٨).

وهكذا نرى أنَّ الفعل الماضي يستعمل للدلالة على أمر حصل في الزمن الماضي أو في الزمن الحاضر أو في الزمن القادم، واستعمالُ لفظٍ يحملُ دلالةً معيَّنةً داخلَ تركيبٍ ما يؤدي إلى دلالةٍ مقصودةٍ في النص، تُعرفُ من خلال السياق.

أما (ما) التي هي مع الفعل بمنزلة المصدر فدلالتها مع الماضي على معنى المُضِيّ، وذلك نحو: سرني ما صنعتَ أمسِ، و« ما نفعني مالٌ ما نفعني مالُ أبي بكر» (آل الشيخ ١٤٢٠: ص ٨١١١٠، ٣٦٦١. ابن أبي شيبة ١٤٢٧: ٦/ ٣٤٨. آل الشيخ ١٤٢٠: ص ٩٤. الخوارزمي ١٩٩٠: ٤/ ١٢٥)، ويسرني ما تصنعه الآنَ أو غدًا، أي: ما تريد صنعه غدًا.

دلالة الفعل المضارع:

الفعل المضارع يسمَّى المستقبل، وله نوعان: نص، وممثل. فالنص: ما وافق لفظُه لفظَ المستقبل ومعناه معناه، نحو قولك: يَضْرِبُ زيدٌ غدًا عمرًا. والممثل: ما كان لفظُه لفظَ المستقبل ومعناه لماضي الزمان وعائره. وذلك نحو قولك: سرتُ أمسِ حتى أدخُلُها. أي: حتى دخلتها ؛ لأن في قولك: سِرْتُ، دليلًا على ذلك.

وقال الشاعر [١٨]:

مَطَوْتُ بِهِمْ حَتَّى تَكِلَّ غُزَاتُهُـــم
وحَتّى الجِيادُ ما يُقَدْنَ بأَرسَانِ

(المؤدب ٢٠٠٤: ص ٤٦).

أما (ما) التي هي مع الفعل بمنزلة المصدر فدلالتها مع المضارع على معنى الحاضر أو المستقبل من ذلك الفعل، وذلك نحو: يسرني ما تصنعه الآنَ أو غدًا، أي: ما تريد صنعه غدًا (الخوارزمي ١٩٩٠: ٤/ ١٢٥).

دلالة المصدر المؤول والصريح:

أما المصدر فهو ليس بفعل محض ولا باسم محض، إذ لو كان فعلًا محضًا لانتفى عنه التنوين، ولو كان اسمًا محضًا لَثُنِّيَ وجُمِع وأُنِّث، وهو مُوَحَّد في الأحوال كلها (المؤدب ٢٠٠٤: ص ٦٠).

والمصدر اسم للفِعْل، يقع على أحواله الثلاثة: الماضي، والموجود، والمنتظر (المبرد ١٩٩٤: ٣/ ٢١٤)، أما الفعل ففيه تحديد للزمن الذي حصل فيه الحَدَث (السيوطي ١٩٨٧: ٢/ ٤٥٥).

وعند سبك المصدر المؤول بـ (ما والفعل) فإنه لن يدل عندئذ على زمن، ولكن تبقى دلالته على الزمن ملحوظة ومستفادة من العبارة الأصلية التي سُبِكَ منها، فكأنه يحمل في طَيِّهِ الزمن الذي كان في تلك العبارة قبل السبك، أما هو فلا يدل بذاته المجردة على زمن، وبالرغم من هذا فلا يمكن معه إغفال الزمن السابق على السبك، وخاصة بعد أن عرفنا أن ذلك الزمن قد يكون سببًا من أسباب اختيار المصدر المؤول دون الصريح

(١٨) (السكري ٢٠٠٠: ص ٤٩٦). وهو من شواهد (سيبويه: ٣/ ٢٧، ٦٢٦)، مع اختلاف في الروايات.

(حسن: ١/ ٤١٩)، ولكن علينا أن نكون حذرين عند التأويل، فلا نتعجَّلُ بقولنا في مثل قوله تعالى: ﴿بِمَاصَبَرْتُمْ﴾ (الرعد ٢٤) أي: بصبركم ؛ لأن الناظم حكيم، وكان يمكنه قول: (بصبركم). وهناك ألفاظ في النظم الحكيم وردت مرة مصدرية، وأخرى مقترنة بـ (ما)، نحو: ﴿بِمَا كَفَرْتُمْ﴾ (الإسراء ٦٩)، و﴿بِكُفْرِكَ﴾ (الزمر ٨)، وهذا كله يدعونا إلى دراسة تركيبية للدلالة النحوية والمعنوية لهذه التراكيب والروابط الداخلة عليها في القرآن الكريم، ولا نطلق القول بأنَّ كلا التركيبين لهما مؤدًّى واحد.

دلالة فعل الكون:

أما استعمال الفعل المساعد وهو فعل الكون (كنتم. أو كانوا) بلفظ الماضي بين (ما) و(الجملة الفعلية) فله دلالات خاصة. فالكون هو الحَدَث (الزبيدي ١٩٦٥: مادة كون)، ويستعمل في تراكيب متعددة، وله أثرٌ فيها إمَّا نحويّ ومعنويّ، أو معنويّ فقط.

فـ (كان) إذا جعلتَها عبارةً عما مضى من الزمان احتاجَت إلى خبر ؛ لأنها دلَّت على الزمان فقط، تقول: (كان زيدٌ عالمًا). وإذا جعلتَها عبارةً عن حُدُوث الشيء ووقوعه استغنت عن الخبر ؛ لأنها دَلَّت على معنًى وزمانٍ، تقول: (كانَ الأمرُ، وأنا أعرفُهُ مُذْ كان)، أي: مُذْ خُلِقَ. قال الشاعر (الأعشى الكبير ١٩٢٧: ص ٢٥٩)[١٩]:

فِدًى لِبَنِي ذُهْل بْنِ شَيْبَانَ نَاقَتِي

إذا كانَ يومٌ ذو كواكبَ أَشْهَبُ

(الجوهري ٢٠٠٥: مادة كون).

وتقع (كان) زائدةً للتوكيد، كقولك: زيدٌ كانَ منطلقٌ. ومعناه: زيدٌ منطلق (الجوهري ٢٠٠٥: مادة كون). فهنا لها أثر معنويٌّ وهو التوكيد، أما الأَثَرُ النحويّ فغير متحقق.

وتقع لَغْوًا، نحو: (مرَّ على كان زيدٍ). يريدون مرَّ على زيدٍ (الزبيدي ١٩٦٥: مادة كون).

وتقع تامة، لمعانٍ عِدَّة، منها (الزبيدي ١٩٦٥: مادة كون):

- ثَبتَ، وثبوت كل شيء بحسبه، فمنه الأزلية، كقولهم: كان الله ولا شيء معه.
- حَدَثَ، كقول الشاعر البيت في (المرتضى ١٩٠٧: ١/ ١٨٤. البغدادي ١٩٩٧: ٧/ ٣٨١. الميمني ١٩٩٥: ٢/ ٢٢٣)[٢٠]:

إذا كان الشتاءُ فأدفئوني فإنَّ الشيخ يُهْرِمُهُ الشتاء

- حَضَرَ، كقوله تعالى: ﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ﴾(البقرة ٢٨٠).
- وَقَعَ، نحو: «ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن» (أبو داود: ٤/ ٣١٩)، ومنه: كان الأمر وكانت القصة. أي: وقع الأمر ووقعت القصة. وتسمى المُكْتَفِية.

وتقع ناقصة بمعانٍ عِدّة منها (الزبيدي ١٩٦٥: مادة كون):

---

(١٩) صدر البيت في مطلع قصيدة مدح الأعشى فيها بني شيبان بن ثعلبة، وتمامه في الديوان:

.... وراكِبُهَا يَوْمَ اللقاء وَقَلَّتِ

(٢٠) البيت للرُّبَيْع بن ضَبُعٍ الفزاري.

- صار، كقوله تعالى: ﴿ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ (البقرة ٣٤).
- والاستقبال، كقوله تعالى: ﴿وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا ﴾(الإنسان ٧).
- والمُضِيّ المنقطع، كقوله تعالى: ﴿ وَكَانَ فِى ٱلْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ ﴾(النمل ٤٨).
- والحال، كقوله تعالى: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ (آل عمران ١١٠).

أمَّا دلالة أمثال هذه التراكيب والفروق بينها، فهذه بعض الجمل، ويليها إيضاح دلالاتها:

- تحدثتُ مَعَكَ كما تحدثتُ مع صديقك.
- تحدثتُ مَعَكَ كما أتحدثُ مع صديقك.
- تحدثتُ مَعَكَ كما كنتُ أتحدثُ مع صديقك.
- تحدثتُ مَعَكَ كحديثي مع صديقك.

ففي استعمال (ما) المصدرية المتلوة بفعل ماض أو فعل مضارع دلالة على الإخبار بحصول التحدث مع الاثنين ومن غير الضرورة تشابه مضمون الحديث، إضافة إلى ارتباط هذا الحديث بزمن محدد، إما في الماضي أو في الحاضر أو المستقبل [٢١].

أما الفرق بين استعمال الفعل الماضي والمضارع في هذا التركيب فالماضي فيه دلالة على حصول الحدث في زمن انتهى، وقد انتهى الحدث، وقد يكون في ذلك إشارة إلى تحقق حصول هذا الأمر والانتهاء منه، والتأكيد على انقضائه، أما المضارع ففيه دلالة على استمرارية الحَدَث، وإن كان الخبر عن شيء سابق ففيه إيحاء بكثرة حصول هذا الحدث آنذاك، وتوالي وقوعه، وهذا وصف لدلالة التركيب على وجه العموم، والتحديد الدقيق لدلالة تركيب معيَّن يعود إلى السياق ذاته، فكل سياق له إشارات وقرائن خاصة به.

أما المصدر الصريح فيدلُّ على إخبارٍ بوجودِ تشابه تامٍّ بين الحَديثين فهما شيء واحد، إلا أنه لا يدلُّ على زمن.

المبحث الثامن: إعراب (ما) المصدرية:

تُعربُ (ما) المصدرية مع صلتها بحسب موقعهما في الجملة، فتقع فاعلًا ومفعولًا ومجرورًا (ابن يعيش: ٨/ ١٤٢). فنحو: (سرَّني ما صنعت) ما: حرف مبني على السكون لا محل له من الإعراب. صنعتَ: فعل ماض مبني على الفتح، والفاعل ضمير مستتر، تقديره أنت. والمصدر المؤول (ما صنعت) في محل رفع فاعل لسرني.

ونحو: (لا أكلمك ما اختلف الليل والنهار) ما: حرف مبني على السكون لا محل له من الإعراب نابَ عن الظرف المحذوف، تقديره: مدة. والمصدر المؤول من (ما) وصلتها في محل جر بالإضافة. الليل: فاعل مرفوع، والنهار: معطوف عليه.

وقد يُتَسامح في المصدرية فتُعْربُ ظرفًا لإقامتها مقام الظرف، نحو قولك: لا أُكَلِّمُكَ ما طَلَعَتِ الشمسُ وما غابَ القمرُ وما قامَ الليل والنهار. والتقدير: زمانَ طلوع الشمس ومدَّةَ مغيب القمر ومُدَّةَ دوامِ الليل والنهار (المالقي ١٤٠٥: ص ٣٨١).

---

(٢١) (ما) المصدرية بنوعيها الزمانية وغير الزمانية تصلح للأزمنة الثلاثة على حسب المعنى والقرينة، ولكن الأكثر أن تكون للحال. (حسن: ١/ ٤١١).

وإذا أُضيفت (كل) إليها أُعرِبَتْ ظرفًا بإعرابها نحو قولك: (لا أُكلمك كلَّما طلعتِ الشمس وكلما غاب القمر).

القسم الثاني: (ما) المصدرية في القرآن الكريم

المبحث الأول: صور صلة (ما) المصدرية (عضيمة: القسم الأول ٣/ ٦٠ — ٦٤)[٢٢] في القرآن الكريم:

وردت صلة (ما) المصدرية في القرآن الكريم على صور هي:

١- **جملة فعلية:**

أ- فعلها ماض مثبت.

ب- فعلها ماض مبني للمجهول.

ت- فعلها مضارع مثبت.

ث- فعلها مضارع منفي بـ (لم).

ج- فعلها مضارع مسبوق بفعل الكون.

ح- فعلها مضارع مسبوق بفعل الكون.

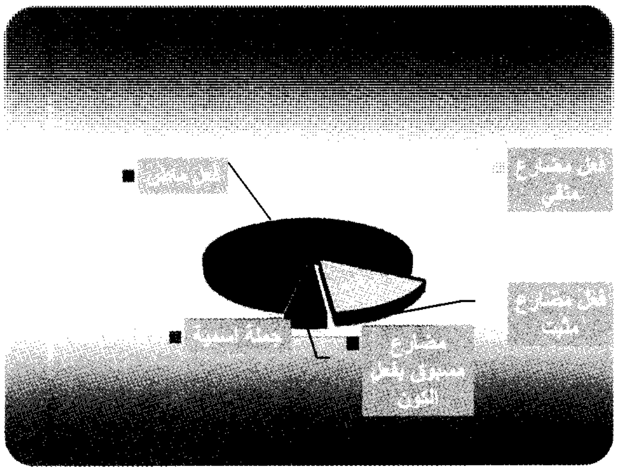
خ- المصدر المؤول من (ما) والفعل بمعنى اسم المفعول.

٢- **جملة اسمية.**

ولا توصل (ما) المصدرية بمفرد (ابن يعيش: ٣/ ١٥١).

وهذا رسم يبيِّن النسب التقريبية لصور صلة (ما) المصدرية في القرآن الكريم.

(٢٢) المراد هنا (المصدرية) و(المحتملة للمصدرية والموصولية).



و(ما) المصدرية الواقعة في القرآن الكريم صلتها في الغالب فعل ماضي اللفظ مثبت، أو مضارع منفي بلم، ومعناها الاستقبال، ويقل كونه مضارعًا مثبتًا، وقد وُصِلَتْ بالفعل المبني للمجهول في مواضع كثيرة في القرآن الكريم (ابن مالك ١٤١٠: ١/ ٢٢٣. عضيمة: القسم الأول ٣/ ٥)،، منها: ﴿على ما كُذِّبوا. كما سُئِل موسى. كما كُتِب. وما أُنذِرُوا هُزُوا. عما أُنذِروا. من بعد ما فُتنوا. من بعد ما ظُلموا. كما أُمِرْتَ. كما أُرْسِلَ. كما فُعِلَ. كما كُتِبَ. ما أُوحِيَ. ما أُوتِيَ. بما استُحْفِظُوا. بما أُوتوا ﴾(عضيمة: القسم الأول ٣/ ٢٤ — ٢٦).

المصدر المؤول من (ما) والفعل بمعنى اسم المفعول:

وقع خلاف بين النحاة في وقوع المصدر المؤول من (ما) والفعل بمعنى اسم المفعول، وقد أجاز «العكبري» و«أبو حيان» وقوعه في بعض المواضع من القرآن الكريم ومنعا في مواضع أخرى، وأكثر النصوص على المنع.

ومن الآيات التي أجازا فيها: ﴿مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ (البقرة ٧٢) (العكبري: ص ٧٨. أبو حيان الأندلسي ١٩٩٣: ١/ ٤٢٤)، ﴿مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ﴾ (الأنعام

٤١)(العكبري: ص ٤٩٦. أبو حيان الأندلسي ١٩٩٣: ٤/ ١٣٢)، ﴿مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ﴾ (إبراهيم ٣٤) (العكبري: ص ٧٧٠. الأندلسي، أبو حيان ١٩٩٣: ٥/ ٤١٦)، ﴿مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ﴾(يس ٥٢) (العكبري: ص ١٠٨٤. الأندلسي، أبو حيان ١٩٩٣: ٧/ ٣٢٦).

صلة (ما) المصدرية جملة اسمية:

أما وقوع الصلة جملة اسمية في القرآن الكريم، فقد وقع خلاف في ذلك على مذهبين:

الأول: مذهب السيرافي والأعلم وابن خروف وابن الشجري وابن مالك (الشنتمري ١٤٢٣: ٢/ ٣٧٩ – ٣٨٠. الأمير ١/ ١٥٢ – ١٥٣. ابن الشجري: ٢/ ٥٥٠)، فقد أثبتوا وقوع صلة (ما) المصدرية جملةً اسمية في القرآن الكريم، في آية واحدة هي قوله تعالى: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ﴾ (الأعراف ١٣٨)، فـ (ما) مصدرية غير زمانية، والجملة بعدها في تأويل مصدر، والتقدير: كوجود آلهة لهم (ابن عاشور ١٩٨٤: ٩/ ٨١).

والتقدير: اجعلْ لنا إلهًا مثل التي هي لهم آلهة، وحُذف المبتدأ من الصلة كما حذف في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ﴾(الزخرف ٨٤) أي: هو الذي هو في السماء إله، ولا بُدَّ من هذا التقدير؛ لأننا إذا حكمنا بأن قوله (إله) مبتدأ و(في السماء) خبره، لم يكن في الجملة عائد على (الذي)، وهذا كقول «نهشل بن جرير التميمي» (ابن هشام ٢٠٠٣: ٣/ ٦٨. ابن هشام ٢٠٠٦: ص ٢٠١. العيني: ٣/ ٢٣٤):

أَخٌ مَاجِدٌ لَمْ يُخْزِنِي يَوْمَ مَشْهَدٍ
كَمَا سَيْفُ عَمْرٍو لَمْ تَخُنْهُ مَضَارِبُهْ

الثاني: مذهب بعض المفسرين، فقد نفوا وقوع صلة (ما) جملة اسمية في القرآن الكريم، وذكروا وجهين فيما يتعلق بالآية الكريمة هما:

١- أنَّها على تقدير فِعْلٍ، أي: كما ثَبَتَ لهم آلهة (الرازي ١٤١٧: ١٤/ ٢٣٣).

٢- أنها وُصِلت بالظرف، والظرف نائب عن الفعل (الباقولي ٢٠٠٣: ص ص ٩٠ - ٩١)، وهي مثل قول قائلهم:

وإني لراجيكم على بطء سَعْيكُمْ
كما في بطونِ الحاملاتِ رجاءُ

ومع ذلك فقد أنكر «الباقولي» كونها مصدرية هنا، وذهب إلى أنها بمعنى الذي، وُصِلت بالظرف (الباقولي ٢٠٠٣: ص ٩١).

وأرى أنه لا داعي لإنكار وقوع الجملة الاسمية صلةً لـ (ما) المصدرية في هذه الآية الكريمة؛ لأن هذا وارد في اللغة، ومن ذلك قوله (الأمير: ١/ ١٥٢ – ١٥٣):

وَاصِلْ خَلِيلَكَ ما التواصُلُ مُمْكِنٌ
فَلَأَنْتَ أَوْ هُوَ عَن قريبٍ راحلُ

وقول «زياد الأعجم» (الأعجم ١٩٨٣: ص ٩٧. ابن الشجري: ٢/ ٥٥١. أبو حيان الأندلسي ١٤٠٦: ص ٣١١. العيني ٢٠٠٠: الشاهد ٦٠٥):

فإنَّ الحُمْرَ مِنْ شَرِّ المَطايا كما الحَبِطاتُ شَرُّ بني تميمِ

المبحث الثاني: أنماط تركيب (ما) المصدرية مع صلتها ودلالاتها في القرآن الكريم:

وردت (ما) المصدرية وصلتها في القرآن الكريم بأنماط متعددة، مجردة لم تتصل بشيء قبلها، أو متصلة

بالباء، أو الكاف، أو كل، أو من، أو عن، أو اللام، أو في.

فالمجردة تنقسم إلى قسمين:

الأول: مصدرية زمانية، وقد وردت في الآيات التالية: ﴿إِلَّا مَا رَحِمَ﴾(يوسف ٥٣)، ﴿وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا﴾ (الإسراء ٧)، و﴿مَّا دَامُوا فِيهَا﴾ (المائدة ٢٤)، ﴿مَا دُمْتُمْ حُرُمًا﴾(المائدة ٩٦)، ﴿مَا دُمْتُ﴾(المائدة ١١٧، مريم ٣١)، ﴿إِلَّا مَا دُمْتَ﴾(آل عمران ٧٥)، ﴿مَا دَامَتِ﴾(هود ١٠٧، ١٠٨)، ﴿مَا اسْتَطَعْتُ﴾ (هود ٨٨)، ﴿مَا اسْتَطَعْتُم مِّن﴾(التغابن ١٦)، ﴿مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ﴾ (الأنعام ١١٩)، ﴿إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾(الأنعام ١٢٨)، ﴿إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ﴾(هود ١٠٧، ١٠٨).

فنحو: ﴿مَا دُمْتُ حَيًّا﴾(مريم ٣١) أصله: مُدَّةَ دوامي حيًّا، فحُذف الظرف (مدة) وخلفته (ما)، كما جاء في المصدر الصريح، نحو: جئتُكَ صلاةَ العصرِ (ابن هشام ٢٠٠٦: ص ٣٣٤).

الثاني: مصدرية غير زمانية:

كقوله تعالى: ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾(النجم ٣٩)، فما: مصدرية. ويدل على ذلك ما بعدها وهو قوله: (وأنَّ سعيه) (الرازي ١٤١٧: ٢٩/ ١٦). ومجيء الفعل بعد (ما) المصدرية بصيغة الماضي فيه حثٌّ على السَّعي في العمل الصالح وإنجازه للحصول على الأجر، ولو جاء الفعل بصيغة المضارع لأفاد التراخي في العمل الصالح وأن مجرد بدء السعي في العمل سيكون فيه الحصول على الأجر (الرازي ١٤١٧: ٢٩/ ١٦ – ١٧).

ويؤيدُ مصدريةَ (ما) وقوعُها على شيء تختلف أنواعه، فالسعي ليس شيئًا واحدًا بل يتعدد ويتنوَّع (السهيلي: ص ١٨٦).

ولا يتأتى مجيء (ما) الاسمية هنا؛ لأنها ستقع عندئذ على ذات الشيء، أي على الجوهر، ولا يمكن أن يكون له الجوهر بعد موته، إنما يبقى له أجر الحدث الذي سعى فيه.

ونحو قوله تعالى: ﴿وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُم بِسِيمَاهُمْ قَالُوا مَا أَغْنَىٰ عَنكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ﴾(الأعراف ٤٨)، فـ (ما) في (وما كنتم تستكبرون) مصدرية مؤولة مع ما بعدها بمصدر معطوف على (جمعكم)، أي: واستكباركم. وجملة (تستكبرون) خبر كنتم.

فتضمن القول تركيبين عطف الثاني على الأول، والأول هو نفي إغناء الجمع، والثاني هو نفي إغناء الاستكبار.

فالأول احتوى على مصدر، والثاني احتوى على فعل مسبوق بـ (ما) المصدرية، وفي التعبير بالفعل المضارع المسبوق بما المصدرية إفادة أنَّ الاستكبار كان دأبهم لا يفترون عنه (ابن عاشور ١٩٨٤: ٨/ ١٤٦).

ووجود (كنتم) فيه دلالة على تأكيد حصول ذلك في الزمن الماضي.

ونحو قوله تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾(التوبة ١٢٨)، فالآية تمثل تركيبًا عامًّا يندرج تحته أربع جمل هي: (من أنفسكم. عزيز عليه ما عنتم. حريص عليكم. بالمؤمنين رؤوف

رحيم)، وكل واحدة هي تركيب مستقل يؤدي علاقة بالبنية التركيبية العامة على النحو التالي:

[جملة فعلية+ صفة أولى+ صفة ثانية+ ما المصدرية+ فعل ماض+ صفة ثالثة+ صفتان]

[جاءكم+ من أنفسكم+ عزيز عليه+ ما+ عنتم+ حريص عليكم+ رؤوف رحيم]

وفي العدول عن المصدر الصريح إلى (ما) المصدرية المتلوة بالفعل الماضي إفادة أنه قد عزَّ عليه عنتهم الحاصل في الزمن الماضي، وذلك بما لقوه من قتل قومهم، ومن الأسر في الغزوات، ومن قوارع الوعيد والتهديد في القرآن. ولو أتى بالمصدر لم يكن مشيرًا إلى عنتٍ معيَّن ولا إلى عَنَتٍ وَقَعَ ؛ لأن المصدر لا يدل على زمان، بل كان محتملًا أن يعزَّ عليه بأن يجنبهم إياه، ولكن مجيء المصدر مسبكًا من الفعل الماضي يجعله مصدرًا مقيدًا بالحصول في الماضي، وتقديره هكذا: عزيز عليه عنتكم الحاصل فيما مضى، لتكون هذه الآية تنبيهًا على أن ما لقوه من الشدة إنما هو لاستصلاح حالهم لعلهم يخفضون بعدها من غلوائهم ويرعوون عن غيِّهم ويشعرون بصلاح أمرهم (ابن عاشور ١٩٨٤: ١١/ ٧٢).

ونحو قوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا۟ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ﴾(آل عمران ١١٨)، فـ (ما عنتم) مصدرية غير زمانية [٢٣]، تؤول مع ما بعدها بمصدر، تقديره: عنتَكم (ابن هشام ٢٠٠٦: ٤/ ٤٦)، في محل نصب مفعول به. وفي استعمال (ما)+ الفعل الماضي دلالة على أنَّ المراد من التركيب بيان الحدث من غير تعمق في الدلالة على زمنه. قال: «ابن عاشور»: «فقد دخلت على الفعل الماضي فلمّا صار بمعنى المصدر زالت دلالته على المضي. وأصبح المعنى: رغبوا في إتعابكم تعبًا شديدًا» (ابن عاشور ١٩٨٤: ٤/ ٦٤). أو رغبوا في ضرركم.

فالتركيب العام في الآية اندرج تحته ست جمل هي: (لا تتخذوا بطانة. من دونكم. لا يألونكم خبالًا. ودوا ما عنتم. قد بدت البغضاء من أفواههم. وما تخفي صدورهم أكبر)، وكل واحدة هي تركيب مستقل يؤدي علاقة بالبنية التركيبية العامة على النحو التالي:

[نهي عن أمر+ صفة+ جملة مستأنفة أولى+ جملة مستأنفة ثانية+ جملة مستأنفة ثالثة+ جملة حالية].

فالجمل التالية لجملة النهي هي تحليل لها، بدأت بإيضاح صفة المنهي عن اتخاذهم، ثم تتالت أربعُ جُمَلٍ تُفَصِّل أمرَهم وتوضحه، وهي ليست صفاتٍ إنما إيضاحُ حقائقَ كانت سببًا للنهي عن اتخاذهم، ولو كانت صفاتٍ بحسب بعض الأقوال للزم في حالة انعدامها جواز اتخاذ البطانة وهذا محالٌ (أبو حيان الأندلسي ١٩٩٣: ٣/ ٤١).

وفي سبب النزول قال «ابن عباس»: «كان رجالٌ من المسلمين يواصلون رجالًا من يهودَ؛ لما كان بينهم من الجوارِ والحِلْفِ في الجاهلية، فأنزل اللهُ فيهم ينهاهم عن مباطنتهم تخوُّفَ الفتنةِ عليهم منهم: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ ﴾ الآية» (السيوطي ٢٠٠٣: ٣/ ٧٣٦ – ٧٣٧).

---

(٢٣) فلا يُقَدِّر الوقت قبلها.

وسبب النزول هذا يبيِّن أنَّ الجمل الداعمة للنهي تبيِّن علَّة هذا النهي، والحكمة منه، فهي ليست صفات لليهود، إنما أمور يُخشى حصولها إذا بقيت العلاقة معهم، ولو انقطعت العلاقة لما حصلت هذه الأمور.

ونحو قوله تعالى: ﴿ فَإِن زَلَلْتُم مِّنْ بَعْدِ مَا جَآءَتْكُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾(البقرة ٢٠٩)، فالتركيب في الآية الكريمة يتكون من [جملة شرط+ تعليق لجملة الشرط (جملة فعلية)+ جملة جواب الشرط]، والمصدر المؤول محور التركيب العام.

و(ما) حرف مصدري مؤول مع الفعل بمصدر، تقديره: مجيئكم، في محل جر بالإضافة، وقد استعمل التركيب (ما+ الفعل) لتعليق الوعيد بشرط مجيء البينات وحصولها، فالمؤاخذة بالذنب لا تحصل إلا بعد البيان وإزاحة العلة، ومن تمكَّن من النظر والاستدلال يلحقه الوعيد كالعارف (الرازي ١٤١٧: ٥/ ٢٢٨)، ومن جهة أخرى فهذه الكلمة فيها إعذار للمسلمين على عقدهم الصلح لحصول معرفتهم بعناية الله برسوله، وأنه لا يخزيه من خلال البينات والمعجزات (ابن عاشور ١٩٨٤: ٢/ ٢٨٠ – ٢٨١).

ونحو قوله تعالى: ﴿ فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِى عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِى يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيْهِ ٱلْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾(القصص ٢٥) فالتركيب في الآية الكريمة يتكون من (فعل+ مفعول به أول+ مفعول به ثان+ ما المصدرية+ فعل ماض)، وفي التعبير بـ (ما+ الفعل الماضي) بيان بحصول الحدث في الزمن السابق مع عدم الاهتمام بالزمن في مقابل الحدث.

ونحو قوله تعالى: ﴿ فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُواْ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ﴾ (غافر ٤٥)، (ما) مصدرية. أي: سيئات مكرهم، وهذه الإضافة بيانية، في قوة إضافة الصفة إلى الموصوف؛ لأن المكر سيئ (ابن عاشور ١٩٨٤: ٢٤/ ١٥٧).

وقال تعالى: ﴿قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾(الأنعام ١٢٨) وردت هذه الآية في معرض رد الله - عز وجل - على المشركين الذين في النار، و(ما) هنا احتملت أوجهًا عِدَّة، هي:

١- مصدرية ظرفية، والفعل بعدها في تأويل مصدر، أي: إلا وقت مشيئة الله إزالة خلودكم.

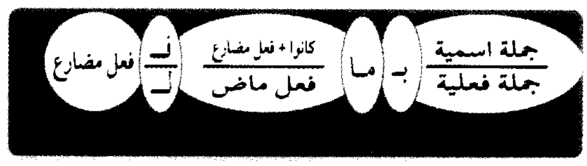
٢- مصدرية غير ظرفية، أي: إلا مشيئة الله عدم خلودهم، أي: حالَ مشيئته، وهي حال توفيقه بعض المشركين للإسلام في حياتهم.

بمعنى (مَنْ)، أي: إلا مَنْ شاء الله (ابن عاشور ١٩٨٤: ٨/ ٧٢).

أما (ما) المسبوقة بالباء فقد وردت في القرآن الكريم ستًا وتسعين ومئتي مرة، والمصدرية منها هي: ﴿وَبِمَا كُنتُمْ ﴾(آل عمران ٧٩)، وفيسور غيرها اثنتاعشرة مرة، ﴿ بِمَا كَانُواْ ﴾(البقرة ١٠)، وفي سور غيرها اثنتا عشرة مرة، ﴿ بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ ﴾ (القصص ١٧). ﴿ فَٰكِهِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ ﴾(الطور ١٨)، ﴿بِمَآ أَخْلَفُواْ ٱللَّهَ ﴾(التوبة ٧٧)، ﴿بِمَا عَصَواْ ﴾(البقرة ٦١)، وآلعمران ١١٢، والمائدة ٧٨)، ﴿ بِمَآ أَشْرَكُواْ بِٱللَّهِ﴾(آل عمران ١٥١)، ﴿ بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلْأَيْمَٰنَ﴾(المائدة ٨٩)، ﴿ بِمَا صَبَرُواْ ﴾(الأعراف ١٣٧)، ﴿ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا

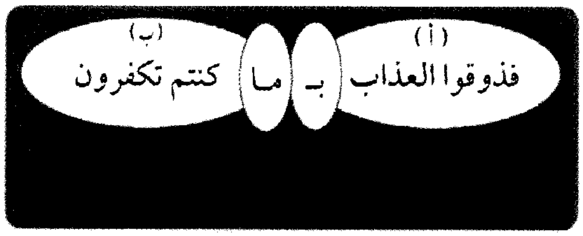
صَبَرۡتُمۡۚ فَنِعۡمَ عُقۡبَى ٱلدَّارِ﴾ (الرعد ٢٤)، ﴿ بِمَا رَحُبَتۡ ﴾ (التوبة ٢٥، ١١٨)، ﴿ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي ﴾(الحجر ٣٩)، ﴿ بِمَا صَدَدتُّمۡ ﴾(النحل ٩٤)، ﴿ بِمَا كَذَّبُونِ ﴾(المؤمنون ٢٦، ٣٩)، ﴿بِمَا ظَلَمُوٓاْ﴾ (النمل ٥٢، ٨٥)، ﴿بِمَا نَسُواْ ﴾(ص ٢٦)، ﴿أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ ﴾(يوسف ٣)، ﴿ بِمَا كَفَرُواْ ﴾(الكهف ١٠٦، سبأ ١٧)، ﴿بِمَا كَفَرۡتُمۡ﴾(الإسراء ٦٩)، ﴿بِمَا تَسۡعَىٰ ﴾ (طه ١٥).

والرسم الآتي يبيِّن أنماط تراكيب (ما) المصدرية المسبوقة بالباء:



التركيب الأول: وهو (جملة+ بما+ جملة)، ومن خلال تتبع هذا التركيب رأيت أنه استعمل في التعبير عن السبب العملي المستمر، فيكون التركيب هكذا (مسبب+ رابط+ سبب)، والخاصية الدلالية للمسبب هي أنه أمر مستمر، بينما إن كان السبب ليس جملة فعلية ولم يُستعمل الرابط (بما) وكان التركيب (جملة خبرية+ مصدر "سبب") فإن المصدر الذي هو (السبب) مرتبط بأمر قولي.

مثال ذلك: قوله تعالى: ﴿ يَوۡمَ تَبۡيَضُّ وُجُوهٞ وَتَسۡوَدُّ وُجُوهٞۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسۡوَدَّتۡ وُجُوهُهُمۡ أَكَفَرۡتُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡ فَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡفُرُونَ ﴾ (آل عمران ١٠٦)، فقد ارتبطت (ما) المصدرية بتركيب: (جملة فعلية+ حرف جر+ ما+ جملة فعلية)، والجملة التي قبلها كانت مُسبَّبة عن التي بعدها، وربَطت ما المصدرية المسبوقة بحرف جر وهو (الباء السببية) بينهما.



والجملة المُسببة فيها دلالة لفظية على وقوع العذاب والإهانة لهم بالأمر بذوق العذاب، و«ذوق العذاب مجاز للإحساس» (ابن عاشور ١٩٨٤: ٤/ ٤٦).

واستعمال (ما) المصدرية والفعل فيه دلالة تَضَمُّنِيَّة مُستنتجة من الدلالة اللفظية، فلفظ (كنتم تكفرون) يدل على حدوث كفر وعلى استمرارية هذا الحَدَث آنذاك، المترتب عليه وقوع (العذاب)، المستنتج من الجملة الفعلية (فذوقوا العذاب).

واستعمال (ما+ الجملة الفعلية) فيه دلالة عامة على قبح أعمالهم في حياتهم الدنيا واستمراريتهم في فعلها آنذاك، وهذا مُستدل عليه من الفعل المضارع، ولو استعمل المصدر (كفر) الدال على الحَدَث فحسب بلفظ (فذوقوا العذاب بكفركم) لما أدَّت هذه الأدلة.

ولذلك لا يصح عموم قول من يقول: «ما وما بعدها في تأويل مصدر تقديره: بكونكم تكفرون، أو بكفركم»؛ لأن التركيب عندئذ لن يؤدي المعنى المراد في السياق بأكمله.

وعند استعراض الآيات التي فيها المسبب (الكفر) بلفظ المصدر لا بـ (ما والفعل) نجد أن الكفر جاء مسببًا عن أمر لفظي وصفوا بسببه بالكفر. تأمل ذلك:

في قوله تعالى: ﴿ وَقَالُواْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴾ (البقرة ٨٨) فوصفهم بالكفر كان مترتبًا على أمر لفظي أتى بها لسياق وهو قولهم (قلوبنا غلف)، وفي قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱسْمَعُواْ قَالُواْ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُواْ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ ﴾(البقرة ٩٣) فوصفُهم بالكفر كان مترتبًا على أمر لفظي أتى به السياق وهو قولهم (سمعنا وعصينا)، وقوله تعالى: ﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَٱسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَٰعِنَا لَيًّۢا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِى ٱلدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَٱسْمَعْ وَٱنظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَٰكِن لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾(النساء ٤٦) فوصفُهم بالكفر كان مترتبًا على أمر لفظي أتى به السياق وهو قولهم (سمعنا وعصينا)، وقوله تعالى: ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَقَتْلِهِمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ (النساء ١٥٥)فوصفهم بالكفر كان مترتبًا على أمر لفظي أتى به السياق وهو قولهم (قلوبنا غلف).

بينما عندما أراد التعبير عن أنَّ الكفرَ كان نظامَ حياةٍ لهم استعمل (ما+ الفعل).

ومثل هذا (بما كانوا يفسقون. بما كانوا يظلمون. بما كانوا يكسبون)، فكلها مترتبةٌ على أمورٍ عمليَّةٍ ونظام حياةٍ لهم.

أما المصدر (بظلمهم) - مثلاً - فهو مسبب عن أمر لفظي، تأمل قوله تعالى: ﴿ يَسْـَٔلُكَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَٰبًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَقَدْ سَأَلُواْ مُوسَىٰٓ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوٓاْ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ثُمَّ ٱتَّخَذُواْ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ فَعَفَوْنَا عَن ذَٰلِكَ وَءَاتَيْنَا مُوسَىٰ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا ﴾(النساء ١٥٣)فالمصدر (بظلمهم) تلا طلب الرؤية جهرة وهو أمر لفظي، وقوله تعالى: ﴿ وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَآبَّةٍ ﴾(النحل ٦١) فيه المصدر (بظلمهم) تالٍ لأمر لفظي في الآيات قبله وهو: ﴿ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ ٱلْبَنَٰتِ سُبْحَٰنَهُۥ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ ﴾(النحل ٥٧).

وهذا الاستعمال ينقل زمن المضارع إلى المُضيّ ف (بما كنتم تكفرون. بما كانوا يفسقون. بما كانوا يصدفون. بما كانوا يظلمون. بما كانوا يكسبون. بما كنتم تفرحون. بما كنتم تمرحون. بما كنتم تستكبرون) كلها أمور حدثت في الزمن الماضي، فاستعمال فعل الكون نقل زمن المضارع إلى الماضي.

أما قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا تَسْعَىٰ ﴾(طه ١٥) فقد استعمل (بما+ الفعل المضارع) من غير فعل الكون، و«السعي هنا بالعمل» (الأندلسي، أبو حيان ١٩٩٣: ٦/ ٢١٩) وعمل ابن آدم لا ينقطع بأكمله بعد موته بل يستمر بثلاثة أمور [٢٤]. وهذا ينافي استعمال فعل الكون الذي سينقل زمن السعي إلى المُضيّ، وتركه هكذا يشمل الأزمنة كلها.

---

(٢٤) قال النبي ﷺ: «إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث». (آل الشيخ ١٤٢٠: ص ١٦٣١. أبو داود: ص ٢٨٨٠ آل الشيخ ١٤٢٠: ص ١٣٧٦. آل الشيخ ١٤٢٠: ٦/ ٢٥١).

أما قوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَـٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ (الأنعام ٩٣) فالمراد من القول هنا كل نوع من الكفر، ويدخل فيه دخولاً أوليًّا المفترون على الله الكذب (الأندلسي، أبو حيان ١٩٩٣: ٤/ ٨٢)، والذي افترى على الله الكذب هو مسيلمة الكذاب فقد ادَّعى النبوة والرسالة وأثبت لنفسه الوحي (الرازي ١٤١٧: ١٣/ ٨٨). والذي قال سأنزل مثل ما أنزل الله هو النضر بن الحارث، وقال: هو أساطير الأولين وكل واحد يمكنه الإتيان بمثله، فادعى معارضة القرآن (الرازي ١٤١٧: ١٣/ ٨٩).

وقال «الرازي» : العذاب الشديد إنما حصل بسبب مجموع الأمرين الافتراء على الله، والتكبر على آيات الله (الرازي ١٤١٧: ١٣/ ٩١).

وفي «التحرير والتنوير» [٢٥]: ضُمِّن (تقولون) معنى تكذبون، ونُزِّل منزلة اللازم فلا يُقَدَّر له مفعول ؛ لأن المراد به أنهم يكذبون.

فتصرفهم نظامُ حياةٍ لهم، وليس مجرد كلمة قالوها استحقوا عليها العذاب.

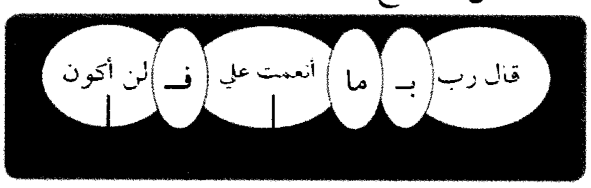
ومن خصائص هذا التركيب سَبْقُ الفعلِ المضارعِ بـ (كنتم، أو كانوا)، وهذا غير حاصل مع الفعل الماضي، واستعمال الفعل المضارع فيه دلالة على استمرارية الحدث وتجدده، أما الفعل الماضي ففيه دلالة على انتهاء زمن الحدث.

وقد كثُرَ وقوع (كان) بعد (ما) في القرآن الكريم، وجرى خلاف في تحديد الصلة، فيرى «أبو البقاء العكبري» أنَّ صلة (ما) الفعل الواقع خبرًا لكان، فقد قال في قوله تعالى: ﴿بِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ﴾ (البقرة ١٠) «وما هنا مصدرية وصلتها (يكذبون) وليست (كان) صلتها لأنها الناقصة ولا يستعمل منها مصدر» (العكبري: ١/ ٢٧).

وقال «أبو حيان» : أي: بكونهم يكذبون. ومن زعم أن (كان) الناقصة لا مصدر لها فمذهبه مردود، وهو مذهب أبي علي الفارسي، وقد كثر في كتاب سيبويه المجيء بمصدر كان الناقصة، والأصح أنه لا يلفظ به معها، فلا يقال: كان زيد قائمًا كونًا (الأندلسي، أبو حيان ١٩٩٣: ١/ ١٨٩).

التركيب الثاني: وهو (جملة أ+ بما+ جملة ب+ رابط+ جملة ج)، وتكون (جملة ب) هي المسبب، و(جملة ج) هي السبب.

تأمل قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ﴾ (القصص ١٧)، وقوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (الحجر ٣٩) فقد تلا (بما) السبب، ثم الرابط (فـ)، وبعده الفعل المضارع.



(٢٥) (٧/ ٣٨٠).

أما (ما) المسبوقة بالكاف فقد وردت في بعض الآيات حرف جر يفيد التشبيه، وهي لا تؤدي بذلك معنى في نفسها بل لا بُدَّ من ربطها بالجملة قبلها أو بعدها لتأدية معنى، ووردت في آيات أخرى اسمًا بمعنى مثل، ووردت في بعض المواضع يجوز فيها الوجهان نحو: (كما زعمت).

وهذه نماذج للشواهد:

قال تعالى: ﴿ كَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِيكُمۡ رَسُولٗا مِّنكُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمۡ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمۡ تَكُونُواْ تَعۡلَمُونَ ﴾(البقرة ١٥١) فبعد ذكر إتمام النعمة ورجاء الهداية، شبَّه تحقق ذلك وثبوته بنعمة إرسال الرسول، التي هي نعمة أسبق، وتحقيق المشبه فيها أظهر، أي أنَّ المبادئ دلَّت على الغايات (ابن عاشور ١٩٨٤: ٢/ ٤٨). فالكاف هنا للتشبيه، وهي في موضع نصب على أنها نعت لمصدر محذوف، والتقدير: ولعلكم تهتدون اهتداء ثابتًا متحققًا كتحقق إرسالنا فيكم رسولًا وثبوته (الأندلسي، أبو حيان ١٩٩٣: ١/ ٦١٦ - ٦١٧).

وهذا شبيه بحديث: «اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على آل إبراهيم» (البخاري ١٩٨٧: حديث رقم ٣١٩٠ (٣/ ١٢٣٣).

(ما) المصدرية متلوة بالفعل الماضي الدال على انقضاء حدوث الشيء في الزمن الماضي والانتهاء منه.

إعراب (كما) في مثل قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ ءَامِنُواْ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ قَالُوٓاْ أَنُؤۡمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُۗ أَلَآ إِنَّهُمۡ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعۡلَمُونَ ﴾(البقرة ١٣)

في إعراب كاف (كما) مذهبان (الحلبي ١٤٠٨: ١/ ١٤١ – ١٤٢. درويش ١٩٩٩: ١/ ٤٩):

الأول: يرى سيبويه أن الجار والمجرور في محل نصب على الحال من المصدر المحذوف المفهوم من الفعل المتقدم والواقع مفعولًا مطلقًا، والتقدير: آمنوا إيمانًا كإيمان...، ولم يجز سيبويه أن تكون الكاف نعتًا، وحجته أنَّ حذف الموصوف وإقامةَ الصفة مقامه لا يجوز إلا في مواضع محصورة، ليس هذا منها.

وما: مصدرية، فإن عددنا الكاف اسمًا بمعنى مثل، فالكاف مضاف، والمصدر المؤول في محل جر بالإضافة، وإن عددناها حرف جرٍّ متعلقة بحال تقديره: (آمنوا إيمانًا كائنًا كإيمان) فالمصدر المؤول من (ما) وما بعدها في محل جر بالكاف.

الثاني: يرى غير سيبويه أن الكاف صفة لذلك المصدر المحذوف. ومثلها مثل: سِيرَ عليه حديثًا. أي: سيرًا حديثًا (سيبويه: ١/ ٢٢٧).

وتتفرَّع عن هذه المسألة مسألة أخرى حول حرفية الكاف واسميتها فيرى «الأخفش» و(البغدادي ١٩٩٧: ١٠: ١٦٧. ابن هشام ٢٠٠٦: ص ص ٢٠٣ – ٢٠٤. المرادي ١٩٩٣: ص ٧٨). و«الفارسي» (الفارسي: ص ٣٩٨. الجرجاني ١٩٨٢: ٢/ ٨٤٩–٨٥٠. الفارسي ١٤٠٥: ص ص٥٣٧ – ٥٣٨. الفارسي ١٣٨٩: ص ٢٦٠)[٢٦] و«ابن مالك» (السلسيلي ١٤٠٦: ٢/ ٦٧١. ابن مالك ١٣٨٧: ص ١٤٧.ابن مالك ١٤٠٢: ٢/ ٨١٢. ابن مالك ١٤١٠: ١٧٠ – ١٧١) أن استعمال الكاف اسمًا قياسي في الكلام، وقد كَثُرَ في شعر فحول الشعراء، لكن لا يختص بضرورة الشعر.

---

(٢٦) وفي كل هذه المراجع جاءت الكاف اسمًا في الشعر. انظر (الأندلسي ١٩٩٨: ص ١٧١٣).

وذهب «سيبويه» إلى أنَّ استعمالها اسمًا إنما يجوز في ضرورة الشعر، حيث قال: «إلا أنَّ ناسًا من العرب إذا اضطروا في الشعر جعلوها بمنزلة مثل.

قال الراجز: فصُيِّروا كعصف مأكول.

وقال خطام المجاشعي: وصالياتٍ ككما يؤثفين» (سيبويه: ١/ ٤٠٨).

وقد رجَّح «ابن هشام» أنَّ اسمية الكاف مخصوصة بالشعر (ابن هشام ٢٠٠٣: ٣/ ٤٩. ابن هشام ٢٠٠٦: ص ص٢٠٣ — ٢٠٤)، كقوله: يضحكْنَ عن كالبَرَدِّ المنهَمِّ (الأنباري: ص ٢٣٣. الحنبلي ١٩٩٨: ١/ ٣٦٢. الخوارزمي ١٩٩٠: ٣/ ٢٢٢. ابن يعيش ٨/ ٤٢، ٤٤. المرادي ١٩٩٣: ص ٧٩. ابن هشام ٢٠٠٦: ص ٢٣٩).

فقد استعمل الكاف اسمًا بمعنى مثل، بدليل دخول حرف الجر عليها.

والذي أراه هو ما ذهب إليه الفريق الأول من أنَّ الكاف تكونُ اسمًا بمعنى (مثل) في النثر والشعر، فنقول: - على سبيل المثال - (المبتدأ والخبر مرفوعان كزيدٌ مجتهدٌ)، فالكاف هنا بمعنى (مثل) ؛ لأننا نقول: (المبتدأ والخبر مرفوعان مثل زيدٌ مجتهدٌ).

وقد جاء في الحديث قوله ﷺ: «واصنع في عُمْرَتِكَ كما تصنعُ في حَجَّتِك» (البخاري ١٩٨٧: حديث رقم ١٤٦٣ (٢/ ٥٥٧)، وقوله: «وحَرَّمْتُ المدينةَ كما حرَّمَ إبراهيمُ مكةَ» (البخاري ١٩٨٧: حديث رقم ٢٠٢٢ (٢/ ٧٤٩) ، وقوله: «اللهم صلِّ على محمد وعلى آل محمد كما صليتَ على إبراهيم وعلى آل إبراهيم» (البخاري ١٩٨٧: حديث رقم ٣١٩٠ (٣/ ١٢٣٣).

وفي الأثر من قول علي- رضي الله عنه - : «أو أموتُ كما ماتَ أصحابي» (البخاري ١٩٨٧: حديث رقم ٣٥٠٤ (٣/ ١٣٥٩).

ويقولون بعد انتهاء التحديث: «أو كما قال صلى الله عليه وسلم».

فالكاف في هذه التراكيب بمعنى (مثل)، والمصدر المؤول بعدها في محل جر بالإضافة.

أما (ما) المسبوقة بـ (من) فقد وردت بتركيبين على النحو الآتي: (مما تجرمون. مما عمروها).

أما (ما) المسبوقة بـ (على) فقد وردت بتركيب واحد على النحو الآتي: (على ما كذبوا. على ما فرطت).

قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا۟ عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا۟ وَأُوذُوا۟ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا ۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَـٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِى۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾(الأنعام ٣٤)

التركيب فيه (ما المصدرية+ فعل+ نائب فاعل+ حرف عطف+ فعل+ نائب فاعل)

وعطف الإيذاء على التكذيب من عطف الأعم على الأخص، فالأذى أعمّ من التكذيب ؛ لأن الأذى هو مما يسوء ولو إساءة ما (ابن عاشور ١٩٨٤: ٧/ ٢٠١).

أما (ما) المسبوقة بـ (كل) فهي مختصة بالمصدرية الزمانية، وقد وردت في القرآن الكريم بالآيات الآتية:

﴿ كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْا۟ فِيهِ ﴾(البقرة ٢٠)، ﴿ كُلَّمَا رُزِقُوا۟ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ ﴾(البقرة ٢٥)، ﴿ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ۖ ﴾(آل عمران ٣٧)، ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَـٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ (النساء ٥٦)، ﴿ كُلَّمَآ أَوْقَدُوا۟ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ ۚ ﴾(المائدة ٦٤)، ﴿ كُلَّمَا جَآءَهُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ

﴿أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُواْ وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ﴾(المائدة ٧٠)، ﴿كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا﴾ (الأعراف ٣٨)، ﴿مَّأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا﴾(الإسراء ٩٧)، ﴿كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا﴾(الحج ٢٢)، ﴿كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا﴾ (السجدة ٢٠)، ﴿كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ﴾(الملك ٨)، ﴿وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ﴾(نوح ٧).

فالتركيب (كل+ ما+ فعل ماض)، نحو قوله تعالى: ﴿كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُم مَّشَوْا فِيهِ﴾(البقرة ٢٠)ف (ما) مصدرية، وكذلك جميع لفظة (كل) إذا أدخلت عليها (ما) كَفَّت (كلًّا)؛ وذلك لأن (كلًّا) في كلامهم اسم للعموم والإحاطة، فيدخل على الأسماء فيعمهم، إذا قلت: كلُّ رجل في الدار فله سهم، وفيها عشرة رجال استحقوا السهم، لعموم كلّ، فإذا دخلت عليه (ما) وقع الفعل بها، وأوجب تكرار الفعل وعمومه ؛ لأن التقدير فيه أن (ما) في موضع الخبر، وما بعده صلته، وهناك مضاف محذوف، فقوله: ﴿كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُم مَّشَوْا فِيهِ﴾، تقديره: كل وقت إضاءة البرق مشوا، فحذفت (وقت) وأقيم (ما) مقامه، كقول الرجل لنسوانه: كلُّ امرأةٍ تدخلُ الدارَ فهي طالق، يوجب الطلاق عليهن إذا دخلْنَ كلُّهُنَّ ؛ لأن كلًّا للعموم. وإذا قال: كلما دخلتْ امرأةٌ الدارَ طَلُقَتْ، فدخلتها واحدةٌ مرَّةً طَلُقَتْ، ولو دخلتها ثانيةً طَلُقَتْ طَلْقَةً ثانيةً، ولو دخلتها ثالثةً طَلُقَتْ طَلْقَةً ثالثة؛ لأن التقدير: كل وقت دخولها.

وفي المسألة الأولى: أعني قوله: (كل امرأة تدخل الدار فهي طالق)، إذا دخلتها مرة طلقت، وإن دخلتها ثانية لم تطلق، بخلاف (كلما)؛ لأن (كلًّا) يوجب تعميم الاسم، و(كلما) يوجب تعميم الفعل. فهذا معنى قول الفقهاء: إنَّ (كلما) حرف تكرار فافهمه، فهذا مساغه في جميع التنزيل.

فإن قيل: فلم جاء (كلّما) في كلامهم منصوبًا؟ قلنا: إنَّ (كلًّا) في كلامهم أبدًا في حكم ما أضيف إليه، فإذا قلت: (كلُّ رجلٍ يأتيني فله دِرْهَمٌ)، حَكَمْتَ لكُلٍّ حكم رجل، فإذا قلت: (كلُّ امرأة تأتيني فلها درهم) حَكَمْتَ لِكُلٍّ بما حَكَمْتَ به للمرأة. وإذا قال: (كلُّ يوم أصوم)، حَكَمْتَ لكلٍّ بما حَكَمْتَ به ليومٍ، فنصبتَه على الظرف؛ لأنه مضاف إلى الظرف.

وكذلك (كلما) في كل القرآن الكريم في تقدير: كل وَقْتِ إضَاءَةِ البَرْقِ مَشَوا، وكل وَقْتِ رِزْقِهِم، فَحُذِفَ الوَقْتُ وأُقِيمَ مَقَامَهُ (ما)، فانتصب (كل) لهذا المعنى، ف (ما) مصدرية إذن» (الباقولي ٢٠٠٣: ١٤- ١٥).

الخاتمة

في الختام أستخلص النتائج التي توصلت إليها، وهي وجود خصائص لـ (ما) المصدرية نستطيع من خلالها تحديد نوع (ما) ودلالتها، تتمثل في الآتي:

أنها حرف مهمل لا إعراب له، وتؤدي وظيفة الربط بين الجملة التي قبلها والتي بعدها، وما بعدها يكون جملة لا مفردًا، والجملة التي بعدها تكون صلة لها، ولا يعود ضمير من صلتها عليها، وتؤول مع الفعل الذي بعدها بمصدر، نحو: أعجبني ما صنعتَ. أي: صنعُك. وقد وصفها بعض العلماء بأنها في ذلك التأويل بمنزلة (أنْ) (الباقولي ٢٠٠٣: ٨ - ٩)، مثل قوله تعالى: ﴿وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ﴾(البقرة ١٨٤) أي: صيامُكم.

إضافة إلى أنها تكون مع صلتها كالكلمة الواحدة، ويكون لهما محل من الإعراب، فاعل أو مفعول به أو مجرور (ابن يعيش: ٨/ ١٤٢. ابن هشام ٢٠٠٦: ٣٣٤)، وتدل مع ما بعدها على دلالات متعددة بحسب السياق وقرائن الأحوال، ومن ذلك دلالتها في بعض التراكيب على الظرفية الزمانية، وإنْ فُصِلَ بين (ما) والجملة الفعلية بـ (كنتم) أو (كانوا) فالمصدر ينسبك من (ما) والفعل، لا منها ومن (كان)، بناء على قول أبي العباس وأبي بكر وأبي علي وأبي الفتح وآخرين: إنَّ كان الناقصة لا مصدر لها (ابن هشام ٢٠٠٦: ص ٤٧٢).

ويسبقها أحيانًا حرف، كالكاف، ومن، وعلى، والباء؛ للربط بين الجملة التي قبلها والتي بعدها، وقد تكون الجملتان بعدها، كما في الجملة الشرطية، نحو قوله تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ ﴾(القصص ١٧).

وقد يراد من دخولها على الفعل الماضي إزالة الدلالة على الزمن، نحو قوله تعالى: ﴿ وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ ﴾(آل عمران ١١٨)، أي: ودوا عنتكم، أي: إتعابكم.

المصادر والمراجع

الأخفش الأوسط، أبو الحسن سعيد بن مسعدة. *معاني القرآن*. ت د. هدى محمود قراعة، الخانجي، القاهرة، الأولى، ١٤١١هـ ١٩٩٠م.

الأسدي، الكميت بن زيد. *ديوانه*. ت د. محمد نبيل طريفي، دار صادر، بيروت، الأولى، ٢٠٠٠م.

الإشبيلي، ابن عصفور علي بن مؤمن. *شرح جمل الزجاجي*. ت د. صاحب أبو جناح، وزارة الأوقاف، العراق، ١٤٠٠هـ.

الأشموني، علي بن محمد. *شرح الأشموني، وبأسفله حاشية الصبان*. دار إحياء الكتب العربية. بدون تاريخ.

الأعجم، زياد. *شعره*. جمع وتحقيق يوسف حسين بكار، دار المسيرة، الأولى، ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م.

الأعشى الكبير، ميمون بن قيس. *ديوانه. مع شرح أبي العباس ثعلب*، طبع آدلفهلز هوشن، ١٩٢٧هـ.

الأمير، محمد بن محمد. *حاشية الأمير على شرح مغني اللبيب*.دار الكتاب اللبناني. بدون تاريخ.

الأنباري، أبو البركات، *أسرار العربية*، ت محمد بهجة البيطار، المجمع العلمي العربي، دمشق. بدون تاريخ.

الأنباري، أبو البركات. *البيان في غريب إعراب القرآن*. ت طه عبد الحميد طه، مراجعة مصطفى السقا، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، ١٤٠٠هـ ١٩٨٠م.

الأندلسي، أبو حيان. *ارتشاف الضرب من كلام العرب*. ت د. رجب عثمان محمد، مراجعة د. رمضان عبد التواب، الخانجي، القاهرة، الأولى، ١٤١٨هـ ١٩٩٨م.

الأندلسي، أبو حيان محمد بن يوسف. *البحر المحيط*. ت الشيخ عادل أحمد والشيخ علي محمد ود. زكريا النوني ود. أحمد الجمل، دار الكتب العلمية، بيروت، الأولى، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.

الأندلسي، أبو حيان محمد بن يوسف. *تذكرة النحاة*. ت د. عفيف عبد الرحمن، مؤسسة الرسالة، بيروت، الأولى، ١٤٠٦هـ.

الأندلسي، أبو حيان محمد بن يوسف. *التذييل والتكميل في شرح كتاب التسهيل*. ت د. حسن هنداوي. دار القلم، دمشق، الأولى ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.

الأندلسي، ابن عطية. *المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز*. ت عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، لبنان، الأولى، ١٤١٣هـ ١٩٩٣م.

الأنطاكي، القاضي مصطفى. *غنية الأريب عن شروح مغني اللبيب*، (من أول الكتاب إلى نهاية اللام) ت د. علي بن عبد الله النملة، و(من أول حرف اللام إلى نهاية الكتاب) ت د. قاسم بدماصي، رسالة تقدما بها لنيل درجة الدكتوراه، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، كلية اللغة العربية، قسم النحو والصرف وفقه اللغة، الرياض، ١٤١٨هـ.

الباقولي، جامع العلوم. *شرح اللمع*. ت د. إبراهيم بن محمد أبو عباءة، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ١٤١١هـ ١٩٩٠م.

الباقولي، *جامع العلوم. كشف المشكلات وإيضاح المعضلات*. ت د. محمد أحمد الدالي، الصباح، دمشق، ١٤١٥هـ ١٩٩٤م.

الباقولي، *جامع العلوم النحوي. ماءات القرآن الكريم*. ت د. عبد القادر عبد الرحمن السعدي، دار الأنبار، بغداد، الأولى، ١٤٢٤ هـ ٢٠٠٣م.

البخاري، محمد بن إسماعيل. *صحيح البخاري*. ت د. مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، بيروت، الثالثة، ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م.

البطليوسي، عبد الله بن محمد. *الحلل في إصلاح الخلل من كتاب الجمل*. ت سعيد عبد الكريم سعودي. بدون تاريخ.

البغدادي، عبد القادر. *خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب*. ت عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، الرابعة، ١٤١٨هـ ١٩٩٧م.

البنا، محمد إبراهيم. *أبو القاسم السهيلي ومذهبه النحوي*. دار البيان العربي، جدة، الأولى، ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م.

التبريزي، الخطيب. *تهذيب إصلاح المنطق*. ت د. فخر الدين قباوة، دار الآفاق الجديدة، بيروت، الأولى، ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م.

التبريزي، الخطيب. *شرح ديوان الحماسة لأبي تمام*. عالم الكتب، بيروت. بدون تاريخ.

التميمي، غيلان بن عقبة (ذو الرمة). *ديوانه*. المكتب الإسلامي، دمشق، الثانية، ١٣٨٤ — ١٩٦٤م.

الجرجاني، عبد القاهر. *المقتصد في شرح الإيضاح*. ت د. كاظم بحر المرجان، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، ١٩٨٢م.

ابن جني، أبو الفتح عثمان. *الخصائص*. ت محمد علي النجار، دار الهدى، بيروت، الثانية. بدون تاريخ.

ابن جني، أبو الفتح عثمان. *سر صناعة الإعراب*. ت د. حسن هنداوي، دار القلم، دمشق، الأولى، ١٤٠٥هـ.

ابن الجوزي، أبو الفرج. *زاد المسير في علم التفسير*. المكتب الإسلامي، الثالثة، ١٤٠٤هـ ١٩٨٤م.

الجوزية، ابن القيم، *بدائع الفوائد*، ت علي بن محمد العمران، دار عالم الفوائد، مطبوعات مجمع الفقه الإسلامي، جدة. بدون تاريخ.

الجوهري، إسماعيل بن حماد. *الصحاح*. اعتنى به خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، بيروت، الأولى ١٤٢٦هـ ٢٠٠٥م.

حسن، عباس. *النحو الوافي*. دار المعارف، القاهرة، الثالثة. بدون تاريخ.

الحلبي، السمين. *الدر المصون في علوم الكتاب المكنون*. ت د. أحمد الخراط، دار القلم، دمشق، الأولى، ١٤٠٨هـ.

الحنبلي، ابن عادل الدمشقي. *اللباب في علوم الكتاب*. ت عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوَّض ود. محمد سعيد رمضان **حسن** ود. محمد المتولي الدسوقي حرب، دار الكتب العلمية، بيروت، الأولى، ١٤١٩هـ ١٩٩٨م.

الخوارزمي، *التخمير (شرح المفصل في صنعة الإعراب)*. ت د. عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الأولى، ١٩٩٠م.

الدارمي، عبد الله بن عبد الرحمن. *سنن الدارمي*. ت فواز أحمد زمرلي وخالد السبع العلمي، دار الكتاب العربي، بيروت، الأولى، ١٤٠٧هـ.

أبو داود، سليمان بن الأشعث. *سنن أبي داود*. ت محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر.

درويش، محيي الدين. *إعراب القرآن الكريم وبيانه*. دار اليمامة ودار ابن كثير، دمشق وبيروت، السابعة، ١٤٢٠هـ ١٩٩٩م.

الدسوقي، *حاشية الدسوقي* المتوفى سنة (١٢٣٠هـ) *على مغني اللبيب لابن هشام*، ضبطه مصححه عبد السلام محمد أمين، مكتبة عباس أحمد الباز، مكة المكرمة، الأولى، ١٤٢١هـ ٢٠٠٠م.

الرازي، فخر الدين. *مفاتيح الغيب*. دار إحياء التراث العربي، طبعة جديدة مصححة وملونة، الثانية، ١٤١٧هـ.

ابن أبي الربيع، عبيد الله بن أحمد. *البسيط في شرح جمل الزجاجي*. ت د. عياد بن عيد الثبيتي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الأولى، ١٤٠٧هـ ١٩٨٦م.

الرضي، محمد بن الحسن. *شرح الرضي على الكافية*. تصحيح وتعليق يوسف حسن عمر، جامعة قاريونس، بنغازي، الثانية، ١٩٩٦م.

الزبيدي، محمد مرتضى. *تاج العروس من جواهر القاموس*. ت عبد الستار أحمد فراج، حكومة الكويت، ١٣٨٥هـ ١٩٦٥م.

الزجاجي، عبد الرحمن بن إسحاق. *الجمل في النحو*. ت علي توفيق الحمد، الرسالة، بيروت، الأولى، ١٤٠٤هـ ١٩٨٤م.

الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر. *الكشاف*. ت عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوّض وفتحي عبد الرحمن حجازي، مكتبة العبيكان، الرياض، الأولى، ١٤١٨هـ ١٩٩٨م.

الزين، أحمد(محقق). *ديوان الهذليين*. دار الكتب المصرية، القاهرة، الثانية، ١٩٩٥م.

ابن السراج، أبو بكر محمد بن سهل. *الأصول في النحو*. ت عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، الأولى، ١٤٠٥هـ ١٩٩٥م.

السكري، أبو سعيد الحسن بن الحسين. *ديوان امرئ القيس* وملحقاته، ت د. أنور عليان أبو سويلم ود. محمد علي أبو الشوابكة، مركز زايد للتراث والتاريخ، العين، الإمارات، الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

السلسيلي، محمد بن عيسى. *شفاء العليل في إيضاح التسهيل*، ت د. الشريف عبد الله علي الحسيني، المكتبة الفيصلية، مكة المكرمة، الأولى، ١٤٠٦هـ.

السمرقندي، أبو الليث. *تفسير السمرقندي* المسمى بحر العلوم. ت د. محمود مطرجي، دار الفكر، بيروت.

السهيلي، أبو القاسم. *الروض الأُنف*. ت عبد الرحمن الوكيل، دار الكتب الإسلامية، الأولى، ١٣٨٧هـ ١٩٦٧م.

السهيلي، أبو القاسم. *نتائج الفكر*. ت د. محمد إبراهيم البنا، دار الرياض، الرياض. بدون تاريخ.

سيبويه، عمرو بن عثمان. *الكتاب*. ت عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة. بدون تاريخ.

السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر. *الأشباه والنظائر في النحو*. ت مجموعة محققين مجمع اللغة العربية، دمشق، ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م.

السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر. *الدر المنثور في التفسير بالمأثور*. ت د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، مركز هجر للبحوث والدراسات العربية والإسلامية، القاهرة، الأولى، ١٤٢٤هـ ٢٠٠٣م.

السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر. شرح *شواهد المغني*. ت أحمد ظافر كوجان، لجنة التراث العربي، بيروت.

السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر. همع *الهوامع في شرح جمع الجوامع*. ت أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، الأولى، ١٤١٨هـ ١٩٩٨م.

ابن الشجري، هبة الله بن علي. *أمالي ابن الشجري*. ت د. محمود محمد الطناحي، الخانجي، القاهرة. بدون تاريخ.

الشمني، أحمد بن محمد. *المنصف من الكلام على مغني ابن هشام*. مطبعة محمد أفندي مصطفى. بدون تاريخ.

الشنتمري، الأعلم. *كتاب الحماسة*. ت د. مصطفى عليان، جامعة أم القرى، الأولى، ١٤٢٣هـ.

الشنتمري، الأعلم. *النكت في تفسير كتاب سيبويه*. ت رشيد بلحبيب، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، ١٤٢٠هـ ١٩٩٩م.

ابن أبي شيبة، أبو بكر عبد الله بن محمد. *المصنف*. ت محمد عوَّامة، دار قرطبة، بيروت، الأولى، ١٤٢٧هـ.

آل الشيخ، صالح بن عبد العزيز. *الكتب الستة*. إيطاليا، ١٤٢٠هـ.

ابن عاشور، محمد الطاهر. *التحرير والتنوير*. الدار التونسية، تونس، ١٩٨٤م.

عبد الحميد، محمد محيي الدين. *سبيل الهدى بشرح قطر الندى*. المكتبة العصرية، بيروت، ١٤٢٥هـ ٢٠٠٤م.

العبسي، جرول بن أوس (الحطيئة). *ديوانه*. بشرح أبي سعيد السكري، دار صادر، بيروت، ١٤٠١هـ.

عضيمة، محمد عبد الخالق. *أبو العباس المبرد وأثره في علوم العربية*. مكتبة الرشد، الرياض، الأولى، ١٤٠٥هـ.

عضيمة، محمد بن عبد الخالق. *دراسات لأسلوب القرآن الكريم*. دار الحديث، القاهرة. بدون تاريخ.

العكبري، أبو البقاء. *التبيان في إعراب القرآن*. ت علي محمد البجاوي، عيسى البابي الحلبي. بدون تاريخ.

العيني، بدر الدين. *فرائد القلائد في مختصر شرح الشواهد*. ت د. محمد بن محمود فجَّال. رسالة ماجستير، صنعاء، قسم اللغة العربية، كلية الآداب، جامعة صنعاء، ٢٠٠٠م.

العيني، بدر الدين. *المقاصد النحوية في شرح شواهد شروح الألفية (الشواهد الكبرى)*. دار صادر، بيروت، بحاشية خزانة الأدب. بدون تاريخ.

الفارسي، أبو علي. *الإيضاح العضدي*. ت د. حسن شاذلي فرهود، دار التأليف، مصر، الأولى، ١٣٨٩هـ.

الفارسي، أبو علي. *البغداديات*. ت صلاح الدين عبد الله السنكاوي، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، العاني، بغداد. بدون تاريخ.

الفارسي، أبو علي. *التعليقة على كتاب سيبويه*. ت د. عوض بن حمد القوزي، الأولى، ١٤١٠هـ ١٩٩٠م.

الفارسي، أبو علي. *المسائل البصريات*. ت محمد الشاطر أحمد، المدني، القاهرة، الأولى، ١٤٠٥هـ.

الفارسي، أبو علي. *المسائل الشيرازيات*. ت د. حسن بن محمود هنداوي، كنوز إشبيليا، الرياض، الأولى، ١٤٢٤هـ ٢٠٠٤م.

الفارسي، أبو علي. *المسائل العضديات*. ت علي جابر المنصوري، عالم الكتب، مكتبة النهضة العربية، بيروت، الأولى، ١٤٠٦ هـ ١٩٨٦م.

الفراء، أبو زكريا يحيى بن زياد. *معاني القرآن*. عالم الكتب، بيروت، الثالثة، ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م.

القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد، *تفسير القرطبي*، دار الشعب، القاهرة. بدون تاريخ.

القوزي، د. عوض، *المصطلح النحوي نشأته وتطوره حتى أواخر القرن الثالث الهجري*، جامعة الملك سعود، الرياض، الأولى، ١٤٠١هـ ١٩٨١م.

القيسي، أبو رياش أحمد بن إبراهيم. *شرح هاشميات الكميت بن زيد الأسدي*. ت د. داود سلّوم ود. نوري حَمّودي القيسي، عالم الكتب، بيروت، الأولى، ١٤٠٤هـ.

القيسي، مكي بن طالب. *الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها*. ت محيي الدين رمضان، مؤسسة الرسالة، الثانية، ١٤١٠هـ ١٩٨١.

المؤَدِّب، أبو القاسم بن محمد. *دقائق التصريف*. ت أ. د. حاتم صالح الضامن، دار البشائر، دمشق، الأولى، ١٤٢٥هـ ٢٠٠٤م.

المالقي، أحمد بن عبد النور. *رصف المباني في حروف المعاني*. ت د. أحمد الخراط، دار القلم، الثانية، ١٤٠٥هـ.

ابن مالك، محمد بن عبد الله. *تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد*. ت محمد كامل بركات، دار الكاتب العربي، الجمهورية المتحدة، ١٣٨٧هـ.

ابن مالك، محمد بن عبد الله. *شرح التسهيل*. ت د. عبد الرحمن السيد ود. محمد بدوي المختون، هجر، الأولى، ١٤١٠هـ.

ابن مالك، محمد بن عبد الله. *شرح الكافية الشافية*. ت د. عبد المنعم أحمد الهريدي، دار المأمون للتراث، مكة المكرمة، الأولى، ١٤٠٢هـ.

المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد. *المقتضب*. ت محمد عبد الخالق عضيمة، القاهرة، ١٤١٥هـ ١٩٩٤م.

المدائني، ابن أبي الحديد. *شرح نهج البلاغة*. ت محمد عبد الكريم النمري، دار الكتب العلمية، بيروت، الأولى، ١٤١٨هـ ١٩٩٨م.

المرادي، الحسن بن قاسم. *الجنى الداني في حروف المعاني*. ت د. فخر الدين قباوة، ومحمد نديم فاضل، المكتبة العربية، حلب، ١٩٩٣م.

المرادي، الحسن بن قاسم. *توضيح المقاصد والمسالك*. ت د. عبد الرحمن علي سليمان، مكتبة الكليات الأزهرية، الثانية. بدون تاريخ.

المرتضى، علي بن الطاهر. *أمالي السيد المرتضى*(٤٣٦هـ). صححه السيد محمد بدر الدين النعساني الحلبي، السعادة، مصر، ١٣٢٥هـ ١٩٠٧م.

المرزوقي، أبو علي أحمد بن محمد. *شرح ديوان الحماسة لأبي تمام*. نَشَرَه أحمد أمين وعبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، الأولى، ١٤١١هـ ١٩٩١م.

المضري، ثابت بن جابر (تأبط شرًّا). *ديوانه*. اعتنى به عبد الرحمن المصطاوي، دار المعرفة، بيروت، الأولى، ١٤٢٤هـ ٢٠٠٣م.

الميمني، عبد العزيز. *بحوث وتحقيقات*. دار الغرب الإسلامي، الأولى، ١٩٩٥م.

ابن هشام، أبي محمد عبد الله بن يوسف. *أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك*. ومعه كتاب عُدَّة السالك إلى تحقيق أوضح المسالك لمحمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤٢٣هـ ٢٠٠٣م.

ابن هشام، أبي محمد عبد الله بن يوسف. *شرح جمل الزجاجي*. ت علي محسن عيسى مال الله، عالم الكتب، بيروت، الأولى، ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م.

ابن هشام، أبي محمد عبد الله بن يوسف. *شرح قطر الندى وبل الصدى*. ومعه كتاب سبيل الهدى بشرح قطر الندى لمحمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤٢٥هـ ٢٠٠٤م.

ابن هشام، أبي محمد عبد الله بن يوسف. *مغني اللبيب عن كتب الأعاريب*. ت محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤٢٧هـ ٢٠٠٦م.

ابن يعيش، يعيش بن علي. *شرح المفصل*. المنيرية، مصر. بدون تاريخ.